السجود للقربان

تأليف آن فرنسوا فاترو وإخوة العمانوئيل

نقله إلى العربية

الأخ ألبرت ألونزو

مراجعة لاهوتية

المونسينيور وليم شوملي

تحرير وتدقيق لغوي

الأستاذ جوج أبو حنك

منشورات المعهد الإكليريكي ٤٢

عنوان الكتاب الأصلي باللغة الفرنسية

Initiation à la prière et à l'adoration

Nihil obstat,

Paris, le 11 juillet 2006,

M. Dupuy.

Imprimatur,

Paris, le 11 juillet 2006,

M. Vidal, v. e.

مطبعة البطريركية اللاتينية

بيت جالا - ٢٠٠٩

الفهرس

٧	تقديم - غبطة البطريرك ميشيل صباح
١١	مقدمة المترجم - الأخ ألبرت ألونزو
١٥	برنامج لقاءات السجود
١٧	اللقاء الأول: حضور يسوع في الإفخارستيا أمر حقيقي
١٧	مقدمة
١٩	(١) ما هي الإفخارستيا؟
٢١	(٢) الخبز والخمر، جسد ودم يسوع المسيح
٢٣	(٣) مساعدات حسية للسجود للقربان
٢٨	(٤) السجود لا يرتبط بالأحاسيس
٣١	اللقاء الثاني: كيف نتعلم أن نصلي مع مريم ومرثا؟
٣١	مقدمة
٣٢.	مرثا ومريم .
٤١	اللقاء الثالث: صلاة الطلب .
٤١	مقدمة
٤٢	برتماوس
٥١	اللقاء الرابع: السجود والحمد والشكر
٥١	مقدمة
٥٢	(١) التسبيح والشكر .
٥٧	(٢) كيف يمكننا أن نسبح الله في الواقع؟
٦١	اللقاء الخامس: كلمة الله
٦١	مقدمة
٦١	(١) الكلمة صار بشراً
٦٢	(٢) نحن جياع لكلمة الله
٦٣	(٣) الكلمة والافخارستيا
٦٤	(٤) نرحب بالكلمة
٦٦	(٥) كيف نحافظ على هذه الكلمة؟
٦٧	(٦) إن الكلمة حيّة وفعّالة
٧١	(٧) كيف نجعل هذه الكلمة عاملة فينا؟
٧٢	(٨) بعض النصائح للسجود
٧٣	اللقاء السادس: محبة الأب
٧٣	مقدمة
٧٤	(١) الإفخارستيا ذبيحة
٧٥	(٢) يسوع يصالحنا مع الأب
٨٣	(٣) مساعدات عملية للسجود
٨٥	اللقاء السابع: محبة الأب
٨٥	مقدمة
٨٦	(١) الله هو أب لنا
٩٢	(٢...) "أبانا" هي صلاة يسوع لأبيه

٩٥ .	٣) المساعدات العملية للسجود
٩٧	اللقاء الثامن: الروح القدس هو السيد الذي يعطينا الحياة
٩٧	مقدمة
٩٧	(١) من هو الروح القدس؟
١٠٥	(٢) نعيش مع الروح القدس
١٠٩	اللقاء التاسع: العيش في حضرة الله
١٠٩	مقدمة
١٠٩	(١) النداء للقداسة
١١١	(٢) يسكن الله فينا
١١٧	(٣) حضور الله والمناولة الإفخارستية
١١٨	(٤) حضور الله فينا والسجود له
١١٨	(٥) بعض النصائح للسجود
١٢١	اللقاء العاشر: سيدتنا مريم العذراء
١٢١	مقدمة .
١٢١	(١) يسوع في هذا اليوم يقدم لنا أمه
١٢٣	(٢) صلاة "السلام عليك يا مريم"
١٣٠	(٣) بعض النصائح للسجود
١٣٣	اللقاء الحادي عشر: قلب يسوع الأقدس والافخارستيا ..
١٣٣	مقدمة
١٣٣	(١) رمز القلب
١٣٥	(٢) يسوع الحلو، المتواضع القلب
١٣٧	(٣) القلب القابل للنقد
١٤١	(٤) ساعات السجود
١٤٢	(٥) نعزي يسوع في السجود
١٤٥	اللقاء الثاني عشر: الإفخارستيا والإرسال
١٤٥	مقدمة
١٤٥	(١) نكون مؤهلين بمحبة يسوع
١٤٧ .	(٢) نحن شركاء في نشر محبة يسوع للبشر
١٤٩	(٣) نشر الإنجيل بواسطة المحبة اليومية "بالعمل والحق"
١٥٣	(٤) التبشير بكلمة الله
١٥٦	(٥) التبشير من خلال الصلاة
١٥٨	(٦) نصائح عملية في السجود للقربان

هذا كتاب للصلاة، يعلم المؤمن كيف يصلي.

الصلاة هي أولاً وقبل كل شيء المثل أمام الله، والاستشعار بالحضرة الإلهية بيننا. فالله خالقنا إنما هو دائماً معنا، مرافق لنا بعنايته ومحبه لنا. هذه هي الصلاة أولاً: الإقامة أمام الحضرة الإلهية.

الصلاة هي تسبيح لله:

"هلمّوا نهلل للرب، نهتف لصخرة خلاصنا، نبادر إليه بالشكران، ونهتف له بالأناشيد" (مزمور ٩٥ / ٩٤ : ١).

هي استغفار واعتراف بضعفنا أمام الحضرة الإلهية:

"أنصت إلى صوت صراخي، يا ملكي وإلهي، فإني إليك أصلي" (مزمور ٥ : ٣).

"ارحمي، يا رب، فلا قوة لي. واشفني، يا رب، فإن عظامي قد تزعزعت.

ونفسي اضطربت كثيراً. وأنت، يا رب، إلى متى؟" (مزمور ٦ : ٣).

في الإنجيل المقدس، نرى صلاة الكثيرين من المرضى والمتألمين الذين صرخوا إلى يسوع طالبين الشفاء:

الأبرص يقول له: "يا رب، إن شئت فأنت قادر أن تبرئني" (متى ٨ : ٢). وقائد المئة يطلب شفاء فتاه (متى ٨ : ٥

وتابع)، والأعميان يصرخان: "يا ابن داود، ارحمنا" (متى ٩ : ٢٧). وغيرهم كثيرون...

السجود للقربان

وقد بيّن لنا يسوع المسيح في الصلاة الربّية أساسيات الصلاة:

هي مثل أمام الله وتوضيح لعلاقتنا به: إنه أب لنا، فنخاطبه بموجب هذه العلاقة الفريدة التي تتضمن

محبة الأب لجميع أبنائه: "أبانا الذي في السماوات".

وهي تسبيح لله: "ليتقدس اسمك وليأت ملكوتك".

وخلاصة الطلبات كلّها: "لتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض". اللهم، ما تشاء، وعلمنا أن

ندرك ما تشاء، من خلال أفراحنا وأحزاننا وحاجاتنا الكثيرة. إننا نكلّها إليك كلّها، وأنت أبونا وتعرفها، وإننا

نضعها بين يديك: "لتكن مشيئتك".

ومن الطلبات، علمنا يسوع طلبتين رئيسيتين:

"أعطنا خبزنا كفاف يومنا"، وهذه الطلبة وحدها تشمل حاجاتنا.

"واغفر لنا خطايانا كما نحن نغفر لمن خطئ إلينا": طلب إلى الله ووعد منا أن نقتدي به، فنغفر نحن أيضاً

كما يغفر هولنا.

هذا الكتاب يريد أن يعلم المؤمن كيف يصلي.

الصلاة هي مَثول الإنسان أمام الحضرة الإلهية. والله حاضر بيننا بصورة خاصة في سر القربان الأقدس، حضوراً حقيقياً: يسوع كلمة الله الأزلي، إلهاً وإنساناً، حاضر حقاً تحت أشكال الخبز والخمر. ومن ثم ساعات السجود المطوّلة أو زيارات سريعة للقربان الأقدس في الكنيسة في أية لحظة من النهار

هذه الصلاة أمام القربان الأقدس هي عودة إلى الله. هي استراحة أمامه بين همومنا ومساعدتنا الكثيرة. وفي الصلاة بُعد لازم ولا بدّ منه يجب أن نتذكّره دائماً، وهو أنّنا لا نمثل أمام الله وحدنا، بهمومنا وحدها، بتسبيح منفرد منعزل عن الناس، بل نمثل مع جميع الناس، ولا سيّما مجتمعنا بكل ما فيه من أفراح وإنجازات وبكل ما فيه من مأسٍ أو إخفاق. صلاتنا هي صلاة مجتمعنا بكامله. لا يمثل المؤمن وحده أمام الله بل مع جميع أبناء الله، ومن كل ديانة وقومية

أسأل الله أن يلهم كل مؤمن روح الصلاة الحقيقية، لتعلّم كيف نُصلي ولنُصلي فنُقديس أنفسنا ومجتمعنا كلّهُ.

+ البطريرك ميشيل صباح

القدس ٣١ كانون الأول ٢٠٠٨

مقدمة المترجم

كنت قد التقيت مع الأنسة "كارولين إلزك" من رهبنة العمانوئيل في القدس، وطلبت مني حينها أن أقوم بترجمة بعض الأوراق المتعلقة بموضوع السجود من اللغة الفرنسية إلى العربية كي يتسنى للمؤمنين الاستعانة بها وقت السجود للقربان المقدس. فتشجعت للأمر، غير أن عذري الوحيد كان يكمن في مقدرتي المتواضعة باللغة العربية، وخشيت أن هذا لن يسعفي في أن تكون الترجمة على المستوى المطلوب. لكن حرصي على نقل موضوع كهذا إلى اللغة العربية وما فيه من أهمية تساعد المؤمن العربي الذي لا يلم باللغة الفرنسية، دفعني لأن أطلب المساعدة من معلمي اللغة العربية في مدرسة الفيرير - القدس.

وعندما عرضت الموضوع على الأستاذ جورج أبو حنك رحّب به وأظهر له حماساً كبيراً كما عهدت ذلك فيه، الأمر الذي زاد من تشجيعي على المباشرة بالترجمة. فقامت بإطلاع الأخت كارولين على موافقتي للقيام بالعمل، فردت قائلة وتباشير الفرح تملأ وجهها: شكراً لك. لكنها فأجأتني بأن الكتاب يتكون من مقدمة واثني عشر لقاءً موزعة على أشهر السنة بحيث يتم إنجاز لقاء واحد كل شهر يساعد على ممارسة صلاة السجود، وقد كان الكتاب المقدس وكلمات قداسة البابا عن الإفخارستيا أكبر معين لنا في إنجاز العمل.

ومما زاد في تشجيعي على القيام بهذه الترجمة هو تجربتي الخاصة في ممارسة السجود مع شبيبة دلاسال ومعلمي التربية الدينية في مدارس الفيرير الذين

رحبوا بالفكرة عندما قمت بعرضها عليهم، أكدوا على أن مثل هذه النصوص باللغة العربية ذات أثر كبير في مساعدة المؤمنين في ساعات السجود.

وعندما أتممت العمل قام الأستاذ المذكور مشكوراً بتحرير النصوص المترجمة، والعمل على مراجعتها وتدقيقها لغة ونحواً.

وقد شرفنا غبطة البطريك مشيل صباح بكتابة مقدمة لهذا الكتاب عرض فيها لأهمية السجود في حياة الإنسان المسيحي.

كما قام المنسنيور وليم الشمولي مشكوراً بمراجعة الكتاب من الناحية اللاهوتية.

وإني في هذا اليوم أشعر بسعادة كبيرة تغمرني عندما أرى هذا العمل يخرج للنور باللغة العربية ليساعد المؤمنين على السجود أمام القربان الأقدس مستلهمين من مؤسسنا القديس "يوحنا دلاسال" الذي كان دائماً يشجعنا على أن نبدأ عملنا بالتذكر بأننا في حضرة الله.

أشكر الرب يسوع أولاً الذي أعطاني الشجاعة الكافية للغوص في هذه المهمة. كما أشكر الأخت كارولين التي وضعت ثقتها فيّ. وأشكر على وجه الخصوص الأستاذ جورج أبو حنك الذي شجعني على القيام بهذا العمل، فهو لم يأل جهداً في متابعة ما كنت أنجزه من ترجمة لفصول هذا الكتاب أولاً بأول مكرساً ذلك لله تعالى في خدمة الكنيسة والمؤمنين.

وأريد أن أشكر أيضاً قدس الآب المنسنيور وليم شمولي الذي ضحى بوقته مع كثرة أشغاله ليكون هذا الكتاب لائقاً ومساعداً.

كما أنني لا أنسى فضل غبطة البطريرك ميشيل صباح وتشجيعه لي وقيامه بكتابة مقدمة الكتاب فكل الشكر والتقدير والعرفان له.

وأخيراً أشكر الأنسة إميلي ترجمان سكرتيرة في مدرسة الفرير بالقدس / الباب الجديد، التي قامت بطباعة النص والمراجعة لما تقتضيه الغاية من تصليح وتوضيح. كما أشكر السيد منير هودلي وطاقم مطبعة البطريركية اللاتينية في بيت جالا التي قامت بدورها إلى إصدار هذا الكتاب بشكله الحالي المنمق الجميل.

الأخ ألبرت ألونزو

إخوة المدارس المسيحية – القدس

شباط ٢٠٠٩

- (١) في ضوء كتابات القديسين ورسائل البابوات، يشرح لنا اللقاء الأول ماهية سر الإفخارستيا التي هي عطاء عظيم جداً لا يمكن أن يحتل أي التباس أو نقص.
- هذا اللقاء مهم جداً لنا في بداية المسيرة؛ كي يتوصل جميع المشاركين إلى الإتفاق على قاعدة موحدة وهي: عندما نسجد إنما نسجد للمسيح الحاضر حقيقية في القربان الأقدس
- (٢) في اللقاء الثاني نتحدث عن الصلاة بوجه عام، فهي نتيجة قرار؛ إذ علينا أن نكرس وقتاً لهذا السجود، وعلى أولاً أن نضع أنفسنا في حضرة الله، ثم بعدئذٍ نتحدث معه ونفتح له قلوبنا، وأخيراً ننصت له بسكوت تام. وسنقوم بهذا عندما نتأمل في لقاء يسوع مع مرثا ومريم
- (٣) اللقاء الثالث يتضمن صلاة الطلب التي تنطلق عادة بصورة لا شعورية سنستمد هذا اللقاء من برتماوس أعمى أريحا، ونكرر صلاته التي نعرفها كلنا.
- (٤) في اللقاء الرابع سنتحدث عن صلاة الشكر والسجود، نتدرب فيها على رؤية أعمال الله العظيمة. ونتذكر في تأملنا استياء يسوع من نكران الجميل: "أليس العشرة برئوا؟ فأين التسعة؟"
- (٥) في اللقاء الخامس سنتعلم كيف نصلي من خلال كلمة الله.
- (٦) في اللقاء السادس نتأمل محبة الله الرحيمة، وكيف ننساها مراراً؟! وما هورد فعلنا؟ فلننظر إلى المسيح ولنتعلم منه.
- (٧) في اللقاء السابع نتحدث عن علاقتنا مع الأب ومحبه الأبوية لنا.
- (٨) في اللقاء الثامن سنتحدث عن الروح القدس منبع الصلاة وعمله في فهم الإفخارستيا. في هذا الوقت نكون قد اخترنا الصلاة وأصبح بإمكاننا التعرف على بعض الأمور التي نتحدث عنها.
- (٩) في اللقاء التاسع نتعلم العيش في حضور الله وسنمارس الصلاة القلبية حيث نسجد للثالوث الأقدس؛ لأننا في الإفخارستيا نعبد الله الذي هو فينا.
- (١٠) في اللقاء العاشر سنتوجه إلى أمنا مريم العذراء لتعلمنا كيف نسجد ليسوع، وكيف نتأمل في أسرار الوردية المقدسة.
- (١١) في اللقاء الحادي عشر سنتحدث عن قلب يسوع وساعة السجود، وكيف نتأمل في آلام المسيح، ونشجع بعضنا بعضاً على أن نكون متسامحين.
- (١٢) اللقاء الثاني عشر هو الإنطلاق للتبشير، وخلالها سنتأمل في الفصل الثالث مكن رسالة "كنيسة الإفخارستيا" بعنوان: "الإفخارستيا هي منبع التبشير وقمته"، وفي الفصل الرابع من الرسالة "ابق معنا يا رب".
- نتأمل ممّن يستفيد من هذه التأمّلات أن يشارك الآخرين بما استفاد.

كانت ألمانيا في شهر آب ٢٠٠٦ محور حدثٍ عظيم، حيث تجمع آلاف الشباب (لقاء الشبيبة العالمي)؛ وذلك بقصد الالتقاء [JM] والشابات في مدينة كولونيا بمناسبة بقداسة البابا بندكتوس السادس عشر، بمناسبة احتفال إيمان عظيم.

وكان قد تجمّع في مثل هذا اللقاء سنة ١٩٩٧ أكثر من مليون شاب وشابة في باريس، وقد تجاوز العدد سنة ٢٠٠٠ إلى أكثر من مليوني شخص.

في ربيع سنة ٢٠٠٤، اختار أساقفة ألمانيا عنواناً لرسالة تعرّف بهذا اللقاء وهو: "جئنا لنسجد له" (متى ٢: ٢). وفي هذه الأيام سيركّز قداسة البابا على دعوة الإنسان للبحث عن المسيح حتى يجده ويعبده.

في التاسع عشر من شهر آذار لسنة ٢٠٠٤، كتب البابا يوحنا بولس الثاني إلى الشباب مخاطباً إياهم: "أيها الشباب، كونوا ساجدين للإله الواحد الحقيقي، وكرّسوا له المكانة الأولى ن حياتكم". (رسالة للتجمع العشرين سنة ٢٠٠٥).

وجّه البابا يوحنا بولس الثاني دعوة للشباب بالحضور إلى كولونيا بقصد القيام بعبادة الله، وجازت دعوته هذه عندما كتب لهم في آذار من العام المنصرم، وعمّم دعوته إلى العالم بأجمعه في تشرين الأول، ولقّب تلك السنة ب (سنة الإفخارستيا) بدءاً من هذا التاريخ وحتى شهر تشرين الأول سنة ٢٠٠٥.

وجاء في رسالته الجامعة (Mane Nobiscum Domine) ؛ أي "ابق معنا يا رب"، يقول قداسته: "تنبع سنة الإفخارستيا من فرحة الكنيسة بهذا السر العظيم، هذه الفرحة تسيطر على فكري، وبسببها أبعث لكم رسالتي كنيسة الإفخارستيا (Ecclesia de Eucharistica) لذا فإني أشعر بنعمة كبيرة حلّت عليّ في السنة السابعة والعشرين من دعوتي البطرسيّة؛ ألا وهي أن أدعو الكنيسة جمعاء لأن تتأمل وتمجّد بطريقة خاصة لهذا السرّ العظيم".

"أمل أن تمثّل سنة الإفخارستيا فرصة سانحة لنا لنكون أكثر ثقة بالثروة الفريدة التي لا مثيل لها والتي وهبها لنا سيدنا يسوع المسيح وسلّمها لكنيستته. فلتكن هذه السنة مثيرة لنشاطنا كي تصبح ذبيحة القداوس الإلهي أكثر حيوية، وتزداد فينا التقوى، وتولّد فينا حياة مسيحية مجدّدة بالمحبة" (Mane Nobiscum Domine). (29)

توجد أساليب كثيرة، وأماكن متعددة للبحث عن يسوع؛ فنستطيع أن نجده في القداوس الإلهي مثلاً، أو عند التقائنا بأخينا الإنسان؛ أما المكان المفضل لحضوره فهو القربان الأقدس.

إذا رغبتهم، فإننا قد نلتقي مرة كل شهر، لنبدأ تعلّم أنشودة للإفخارستيا، يليها نقاش توضيحي؛ لتزداد معرفتنا في كل مرّة يتم فيها اللقاء، كما يمكننا استدعاء بعض الأشخاص المتبحرين ليغنونا من معرفتهم، ثم نختم اللقاء بوقت عبادة صامتة مدتها خمس عشرة دقيقة في البداية، ثم عشرون دقيقة في المرة التالية،

إلى أن تصل إلى نصف ساعة في المرات التي تلمها. سيتسلم كل مشارك نشرة تحتوي على بعض النصائح أو أقوال من القديسين، أو بعض المراجع من الكتاب المقدس، تساعدنا على الدخول في الصلاة الصامتة. لا يتجاوز هذا الجزء الساعة ، ومن يريد وقتاً إضافياً فبإمكاننا الاستمرار معه بصلاة مشتركة.

لنفتح قلوبنا لعمل الله فينا؛ فهو دائماً يفي بوعده، وهو الذي يريدنا أن نأتي إليه، فهو يقدم المساعدة لكل شخص منا، وعلينا نحن أن نساعد بعضنا بعضاً. فلندخل معاً في هذه المغامرة دون خوف، ولنفتح قلوبنا منتظرين كل شيء من الله.

سنتعرف في هذا اليوم إلى معنى كلمة "إفخارستيا"؛ لكن قبل التطرق إلى المعنى اللاهوتي، دعوني أقرأ عليكم وصية الأم تريزا لراهباتها: "يا بناتي العزيزات، يريد يسوع أن يقول لكنّ كم هو محب لكلّ واحدة منكنّ؛ فهو يحبكنّ أكثر مما تتصوّرن. إني قلقة بشأن بعضكن اللواتي لم يلتقين يسوع على انفراد – أعني بعين الروح – ولم تشعر أيّ حب ينتظرها! ها سبق أن سمعتنّ كلمات محبته؟ هل طلبتن منه هذه النعمة؟ فهو على أحرّ من الجمر بانتظار أن يمنحكن محبته... هو يريد أن يخاطبكن ليس فقط لأنه يحبكن، ولكن لأكثر من هذا؛ لأنه يعشقكن. إن ابتعادكن عنه أمر يؤلمه، فهو عطش إليكن". (الوصية الروحية للأم تريزا).

إن الأم تريزا توجه هذه العبارات إليكم أنتم أيضاً؛ فأنا أدعوكم في هذه الأشهر التي سنعيشها معاً لأن تحفظوا في قلوبكم هذه العبارات؛ لأنها هي التي سترينا النهج الذي سنسلكه.

(١) ما هي الإفخارستيا؟

(١ - ١) المحبة حتى النهاية

من الإنجيليين الذين كتبوا عن العشاء السري متى ومرقس ولوقا، وهم يكررون كلمات يسوع على الخبز والخمر: "هذا هو جسدي الذي يبذل من أجلكم" و"هذه الكأس هي العهد الجديد في دمي الذي يهراق عنكم". أما يوحنا فيركز على أشياء أخرى، فهو يذكرنا بأن المسيح قام بغسل أرجل تلاميذه، ويذكرنا أيضاً أنه "بلغ به الحب إلى أقصى حدوده". وكان يسوع على معرفة بأنه سيترك تلاميذه عن قريب ويرجع إلى أبيه، وعلى معرفة بأنه سيسلم في هذه الليلة نفسه، وسيعذب ويصلب ويموت ميتة شنيعة، وأنه سيقوم من بين الأموات في اليوم الثالث؛ فكان يعرف كل هذا، فهو الذي خاطب تلاميذه قائلاً: "ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل نفسه في سبيل أحبائه" (يو ١٣ : ١٥). وحتى يثبت لنا حبه هذا فهو يرغب في زيادة شيء آخر ألا وهو بقاؤه معنا في شكلي الخبز والخمر. فهذه هي الطريقة المتواضعة التي اختارها ليبقى معنا دائماً حتى نهاية العالم، محققاً بذلك قوله للرسول: "وها أنذا معكم طوال الأيام إلى نهاية العالم". (متى ٢٨ : ٢٠). وجاء في رسالة قداسة البابا الجامعة عن الإفخارستيا: "ماذا يستطيع يسوع أن يفعل أكثر مما فعل؟! ففي الإفخارستيا برنا يسوع – حقيقة – أن محبته لنا هي محبة بلا حدود "فالله يعطينا نفسه كاملة بكل محبة دون أن يبخل علينا بشيء".

١ - ٢) التضحية، الموت، القيامة جميعها حاضرة في هذا السر

في كل مرة تقوم الكنيسة بذبيحة القداس، تجعل تضحية يسوع حاضرة فينا. فهي لا تقوم بمجرد الاحتفال بهذا الحدث. "عندما تحتفل الكنيسة بالإفخارستيا تذكر موت وقيامه السيد يسوع المسيح، وهذا الحدث الذي هو الأساس لخلصنا، يكون في الحقيقة حضوراً فينا". "ولم يُنه يسوع عمله ويرجع إلى أبيه حتى يعطينا الطريقة التي نشارك فيها هذا الحدث وكأننا حاضرون معه بقرب الصليب وساعة قيامته" (EE). في الحقيقة إن الله خارج نطاق الزمن، فكل شيء له يكون في الحاضر. إن

الذبيحة هي فريدة من نوعها، ولم تتكرر في كل وقت، إلا أنها تكون حاضرة نصب أعيننا في كل ذبيحة إلهية. تفسر الكرازة بالطريقة الآتية: "كل ما فعله يسوع وكل العذابات التي احتملها من أجلنا ما هي إلا جزء من الأبدية الإلهية التي تسيطر على الأجيال" (EE). إن يسوع هو في الحقيقة حاضر بيننا، إنه هنا، ونحن لا نتحدث عن فكرة بل عن حقيقة.

بالإضافة إلى ذلك: "إن الإفخارستيا لا تكتفي بذبيحة يسوع على الصليب، لكنها تشتمل على قيامته المجيدة" (EE)؛ لأنه: هو حيّ وقد قام من بين الأموات؛ فيمكنه في الإفخارستيا أن يجعل نفسه "الخبز الحي" (٦ : ٥١).

٢) الخبز والخمر، جسد ودم سيدنا يسوع المسيح

١ - ٢) أعلن يسوع للجمع في مجمع كفرناحوم قائلاً: "أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء، من يأكل من هذا الخبز يحيا للأبد. والخبز الذي سأعطيه أنا هو جسدي الذي أبذله ليحيا العالم" (يو ٦ : ٥١). حينئذٍ قال الشعب إنه مجنون حقيقة! "كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لتأكله؟!" (يو ٦ : ٥٢)، عندئذٍ لم يقل لهم يسوع إن هذا سوء فهم، أو أنه طلب منهم أن ينتظروا ولا يذهبوا؛ لأن هذا ليس ما كان يريد أن يقوله لهم. فهذه طريقة تعبير، وهو رمز فقط.. لكنه لم يفعل شيئاً من هذا بل أكد قائلاً: "الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فلن تكون فيكم الحياة". وكثيراً ما قالوا: هذا كلام عسير، من يطيق سماعه؟" (يو ٦ : ٦٠) حينئذٍ سأل يسوع تلاميذه قائلاً: أفلا تريدون أن تذهبوا أنتم أيضاً فأجابته بطرس: يا رب، إلى من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك؟" (يو ٦ : ٦٧، ٦٨) واليوم يطلب يسوع من كل واحد منا أن يجيب بدوره عن هذا السؤال.

حقيقة لهو أمر صعب ما ينتظره يسوع والكنيسة منا، ولا نستطيع أن نفهمه؛ لهذا السبب يهترب الكثيرون لأنهم لا يستطيعون أن يتقبلوا وجود يسوع حقيقة هنا، ويقولون هذا رمز فقط أو وليمة أخوية.

اليوم، وفي هذا اللقاء، علينا أن نوجه السؤال الآتي وبكل وضوح: هل في الحقيقة أن القربان المقدس هو يسوع نفسه؟ فإذا كان اعتقادنا أن الخبز والخمر هو رمز فقط، فاحتفالنا بالتالي ما هو إلا احتفال وثنى إن أردنا العبادة؛ فنحن لا نعبد إلا قطعة خبز، وبإمكاننا أن نعبد شيئاً آخر. وإن كان الأمر كذلك فنستطيع أن نتمتع عن هذه العبادة. أما إذا كانت قطعة خبز هذه التي يتلو عليها الكاهن كلام التقديس حقيقة هي الله الحي، فكيف - إذن - يجب أن تكون معرفتنا حول تصرفاتنا الشخصية تجاه الإفخارستيا؟

يقول البابا يوحنا في رسالته (Mane Nobiscum Domine) "يوجد وجه من وجوده الإفخارستيا يضع إيماننا تحت التجربة أكثر من أي شيء آخر، ألا وهو الحضور الحقيقي. ونحن مع كل الكنيسة نؤمن بأن يسوع موجود حقيقة في القربان الأقدس، ونتكلم عن وجود حقيقي كما فسره البابا بولس السادس، لا لأنه غير حاضر في مكان آخر، بل لأن حضوره هنا يكون جوهرياً بالجسد والدم. لهذا السبب يُطلب منا أن نخشع أمام القربان الأقدس وكأننا أمام المسيح الحي القائم من بين الأموات، مع أن أعيننا ترى خبزاً، وفمنا يتذوق خبزاً، وأيدينا تلمس خبزاً، وكل حواسنا تقول لنا أن هذا هو خبز.

فهذه المشكلة التي نشعر بها اليوم، هي نفسها المشكلة التي شعر بها المسيحيون الذين عاشوا زمن القديس كرلس أسقف القدس. فكان يقول لأفراد أبرشيته: "لا تتعلقوا في الخبز والخمر كما تتعلقون بأشياء مادية؛ لأنها في الحقيقة، كما قال السيد المسيح، جسده ودمه. ومع أن هذا هو الشيء الذي تشعر به حواسنا، فإيماننا يطمئننا، ومع أننا نحاول أن نفهم ذلك السر العجيب - قدر الإمكان - بذكائنا، لكن لا شيء يدفعنا إلى تفهمه مثل إيماننا".

في "فعل إيمان شعب الله" كتب لنا البابا بولس السادس يقول: "علينا أن نؤكد حقيقة في ضميرنا، غير مبالين بحواسنا، ذلك أن الخبز والخمر لا كيان لهما بعد كلام التقديس، بل يصبحان جسد ودم يسوع المسيح القائم من بين الأموات تحت شكلي الخبز والخمر".

هذا التعليم الرسمي يستطيع أن يقربنا من هذا السريفوق المساعد لبعضنا.

ولنردّد في داخل أنفسنا العبارات الآتية بعد كلام التقديس للعمل على تقوية إيماننا: "في الحقيقة إن الخبز الذي على المذبح لا كيان له الآن، هذا ليس خبزاً بل جسد المسيح. نعم، هذا ما أريد أن أومن به حتى لو شعرت حواسي بشيء آخر".

٣) مساعدات حسية للسجود للقربان

٣ - ١) السجود للقربان ليس تقنية، لكنه وجود داخلي فعل إيمان وحب. بعد أن سمعنا بما فيه الكفاية عن الإفخارستيا، سنتعرف الآن على كيفية السجود للقربان الأقدس.

إن الحديث عن السجود يشبه السير على الجليد؛ لذلك لا نستطيع أن نقترح طريقة معينة، كما أننا لا نستطيع التحدث عن تقنية موحدة؛ فنحن نتحدث عن استعداد داخلي لاستقبال الله، ونفتح له المجال لأن يقدم لنا ما يريده هو.

السجود للقربان هو أئمن هدية يمنحنا إياها الله، إنها ليست مجرد هدية، بل الله نفسه يعطينا ذاته مجسدة بشخص يسوع المسيح. يكشف لنا البابا يوحنا بولس الثاني عن كيفية سجوده هو للقربان الأقدس حيث يقول: "من الجميل أن نتكلم مع يسوع وكأننا متكئون على صدره مثل يوحنا في العشاء السري، نلمس منه محبته اللامتناهية. فإن كان على جيلنا أن يمتاز بشيء، فما عليه إلا أن يمتاز بالصلاة. كيف لنا ألا نشعر

بضرورة البقاء وقتاً طويلاً في مناجاة روحية، ساجدين بصمت ومحبة أمام المسيح الحاضر في القربان الأقدس؟! اختبرت هذه الصلاة مراراً، ووهبتُ قوة وعزاء وتشجيعاً" (EE).

ونتساءل نحن بدورنا اليوم: كيف سنستقبل هذه العطية؟ وكيف سنلتقي يسوع وقت السجود؟!

٣ - ٢) نؤمن بكلام يسوع

إن حواسنا عاجزة عن المساعدة في هذا الموضوع كما مر بنا؛ لأن ما نراه ما هو إلا قطعة صغيرة من الخبز، لكننا سمعنا أنه بعد كلام التقديس لا كيان لهذه القطعة كخبز؛ إذ قال يسوع لتلاميذه: "هذا جسدي الذي يبذل من أجلكم". فبإيماننا نؤمن أن يسوع لا يكذب علينا.

أتعلم أن يسوع وأباه يصدقاننا أيضاً؟ "إن الأب ابنه المحبوب بين أيدينا. ويسوع نفسه يهبنا ذاته عندما يقول: "هذا الجسد المبذول عنكم". ونحن نعلم إلى أي حد يبذل جسده من أجلنا، وإلى أي درجة تحمل العذاب من أجلنا.

والآن يبذل يسوع مجدداً نفسه في القربان الأقدس؛ لأن محبته العظيمة لنا تدفعه لأن يبذل ذاته من أجلنا. ونحن عندما نلمسه ونتأمل به، وهو في الشعاع، أو بحق القربان، يمكننا أن نقول له: يأتمني يسوع ويبذل ذاته لي. إنه يحبني ويمنحني ذاته شخصياً. إنه يأتمني لأنه ينتظر مني أن أبادله المحبة، وأشاركه الحديث. سأشكره لأنه بذل ذاته، وأنا أريد أن أبادله المحبة بالمحبة".

السجود هو في الحقيقية مناجاة قلبية مع يسوع. بعد المناولة - في القداس - لا يوجد متسع من الوقت لهذه المناجاة؛ لأنه يترتب علينا أن ننهي القداس. لكن في وقت السجود لدينا الوقت الكافي كما يرى البابا يوحنا بولس: "أن نناجيه ونشعر بمحبته اللامتناهية لنا" (EE). فعلياً إذاً ألا فصل بين السجود والقداس، فالسجود هو استمرار للقداس وتحضير للقاء القادم مع يسوع في المناولة.

٣ - ٣) نضع أنفسنا في حضرة الله

أول ما علينا القيام به عند السجود للقربان هو وضع أنفسنا في حضرة الله بإيمان وورع وخشوع. فإذا كنا في البيت فإننا نستطيع أن "نصلي لأبينا في الخفية" كما يقول لنا يسوع في إنجيل متى. إن الله حاضر في كل مكان؛ فهو في بيتنا وينتظرنا دائماً، وهو أيضاً في قلبنا لأننا نحن هيكل الروح القدس وباستطاعتنا أن نجده أينما كان. أما هنا، فكما يقول البابا بولس السادس، يسوع حاضرٌ بجسده تماماً كما نحن حاضرون بجسدنا أمامه. لذا، علينا أن نكون حاضرين أمامه بكل قلبنا وكل فكرنا، وبكامل إرادتنا، وبكل حواسنا؛ حتى يكون هذا اللقاء لقاء محبة حقيقية "أحبب الرب إلهك بكل قلبك، وبكل نفسك، وكل قوتك" (تثنية الاشتراع ٦ : ٤). لهذا السبب تكون الدقائق الأولى من السجود مهمة جداً، فهي تشبه من يقود زورقاً له شرع، فقبل أن يدفع الهواء الشرع عليه أن يدفع هو الزورق أولاً إلى الماء. وهكذا سيدفعني الروح القدس في الصلاة إن وضعت نفسي أولاً في حضرة الله. هذا الحضور لا يكون عاطفياً كما يقول القديس فرنسوا دسال: "يبدو لي عندما نقول إننا لا نجد الرب ونظنه بعيداً جداً، أننا نتحدث عن حضور عاطفي، وقد لاحظت أن البعض لا

يدركون الفرق بين الله والإحساس به، وهم عندئذٍ يفكرون أنهم ليسوا في حضرته، وهذا ناتج عن قلة فهمهم. يمكننا أن نتحدث مطولاً عن حضور الله والإحساسات المتأتية عنه، لا أن الله وحده يستطيع أن يهبنا هذه النعمة. وهنا يجدر بنا طرح هذا السؤال: "كيف يمكننا - إذن - وضع أنفسنا في حضرة الله؟"

٣-٣-١) بجسدنا

بجسدنا نستطيع أن نسجد ونعترف أننا خلائق أمام خالقها، وأن الخالق أعظم منا بكثير: نرسم إشارة الصليب بروية وإيمان، نركع أمام القربان؛ حينها يمكننا البقاء في حالة الركوع أو الجلوس بعدئذٍ بهدوء.

٣-٣-٢) بالصلاة

السجود يعني أن نضع أنفسنا أمام الله والبقاء معه وأمامه. فيترتب على كل واحد منا أن يختار الطريقة التي تساعد على البقاء في هذا الحضور؛ ففريق يتلو الصلاة الربانية أو قانون الإيمان متمعناً بكل كلمة، وفريق آخر يتلو السلام الملائكي مضيفاً إلى بعض الجمل كلمات من عنده؛ فمثلاً بعد قولنا: "ثمرة بطنك يسوع" يقول: الموجود حقيقة وجوهراً أمامي الآن في هذا القربان".

٣-٣-٣) بالعبارات القصيرة التي نردها مراراً وتكراراً، مثل:

- يا ربي يسوع، عيني لا ترى إلا برشانة صغيرة لكنني أومن بأنك حقيقة موجود أمامي.
- يا ربي يسوع، إني أومن بأنك أنت حقيقة موجود هنا أمامي.
- يا ربي يسوع، أومن بأنك هنا معي؛ فقوِّ إيماني.
- يا يسوع، أنت قلت: "هذا جسدي". إني أثق بك كل الثقة، وإني أومن بكل كلمة قلتها.

يمكننا الاستعانة بكل ما نراه معيناً لنا على هذا الحضور الإلهي، فإن يسوع أمامنا ونحن متأكدون. والصلاة تأتي دائماً من الله، فهو الذي يبادر في الصلاة قبل أن نأتي إليه، لأنه دائماً موجود وينتظرنا في كل لحظة، فلا يكون علينا إلا أن نضع أنفسنا أمامه ونصغى إليه.

يكون السجود للقربان بدافع رغبتين:

الأولى: رغبة الإنسان في المحبة المتبادلة.

الثانية: رغبة الرب في أن نتقبل حبه ونبادل له هذا الحب بالحب.

في القرن السابع عشر، ظهر يسوع للقديسة (مرغريت ألاكوك) وقال لها: "إني أشعر بعطش يحرقني لأنني لم أجد أناساً يبادلونني الحب الذي في القربان المقدس، وبهذا فهم يروون ظمئي عندما يبادلونني الحب بالحب". إن حضورنا اليوم لهو استجابة لعطش يسوع على الصليب؛ فهو عطش لشدة حبه لنا.

في الحقيقة، نحن لا نعرف ولا ندرك كيف نحبه، لكننا - نحن هنا - واثقون بأن يسوع شغوف إلينا بحبه غير المتناهي. إن يسوع يفرح للوقت الذي أكرسه له عندما أكون قريباً منه، وأبقى معه لأتمته بحبه، وأعتبر عن محبتي له.

يمكن أن ندرك بعين بصيرتنا كيف ينظر يسوع إلينا ويُظهر حبه لنا.

كانت القديسة تريزا - مؤسسة الكرمل - تقول لراهباتها: "إن يسوع تجسّد لنتصوّره بأعين القلب، فلنغمض - إذن - أعيننا ولنُدع نظرة يسوع المفعمة بالحب تظللنا، حينئذٍ نستطيع أن نردّد:

- يا يسوع، أنت تنظر إليّ بحبّ فائق.
 - يا يسوع، أنت تحبني وإني أشكرك على هذا الحب العميق.
 - يا يسوع، اجعلني أحبك.
 - يا يسوع، أنت تشاق لمحبي وأنا أحبك.
 - يا يسوع، أحسنّ بأنني لا أعرف كيف أحبك، لكنني أريد أن أحبك لأن هذا هو ما تريده مني.
- عندما تتشتت أفكارني عليّ أن أجمعها بكل هدوء - كما يقول لنا القديس فرنسوا دسال - واقدمها ليسوع بكل تواضع.

٤) السجود لا يرتبط بالأحاسيس

الأحاسيس ليست مهمة عند السجود، إذ أننا نشعر في بعض الأوقات بمحبة يسوع، كما نشعر بدفء حبه لنا؛ إلا أن هذا الأمر نادر جداً، وإذا حصل، فعلينا أن نتوجه بالشكر من أعماق قلوبنا إلى الله. ومع أننا في أغلب الأحيان لا نشعر بشيء من هذا القبيل، لا بل نسأم منه؛ فهذا ليس بالأمر الهام لأن يسوع موجود أمامي وأنا حاضر بقربه. المهم - إذن - هو إيماننا بأن يسوع حقيقة موجود أمامنا.

فكما أننا لا نستطيع البقاء في الشمس دون أن تسفَعنا أشعتها، هكذا لا نستطيع البقاء أمام القربان دون أن يغيّر الله فينا شيئاً حتى لو لم نشعر به. إني هنا أمامه وأضع كل ثقتي به.

قال يسوع المسيح لرسله: "إن أبي ما زال يعمل وأنا أعمل أيضاً". (يو ٥: ١٧). كانت القديسة أليزابيث الكرملية تصلي بهذه الكلمات: "يا إلهي أنت الثالث الأقدس الذي أعبد... لا تسمح بأن أترك وحدك في نفسي، لكن اجعلني باقية معك بكل كياني، وإيماني متيقظ ومتعبد لك، وأن أبقى دائماً بين يديك الخلافة".

فعندما لا نشعر بشيء ونظن أن لا شيء قد تغيّر فينا، فلنكرر العبارات الآتية: "يا إلهي، دعني أبقى بين يديك الخلافة". فغايتنا أن نبقى هنا اليوم محاولين التركيز بكل اهتمامنا على الله، لكن دون جهد زائد، وعلينا أيضاً أن لا تهتز أعصابنا إذا ما شردت أفكارنا وتشتتت عن موضوع الصلاة. فعندما ننتبه، علينا أن نكرر وبكل هدوء جملة من الجمل التي ساعدتنا في الماضي، مثل: "يا يسوع أنت هنا". أو أن نكرر اسم يسوع مراراً بهدوء وتمعن، طالبين منه أن يمنحنا الطمأنينة والسلام.

إن الله لا يطلب منا الأحاسيس الجميلة، كما أنه لا يطلب منا أن ننجز شيئاً ما، بل علينا أن نبقى أمامه كما نحن؛ أي ضعفاء ومتواضعين. واليوم في هذا اللقاء الأول للسجود سندسعي لأن نثبت هذه الحقيقة المقدمة لنا، ألا وهي أن يسوع موجود هنا حقيقة وهو ينظر إليّ بحبه العميق.

اللقاء الثاني

كيف نتعلم أن نصلي مع مريم ومرثا؟

مقدمة

عندما تسلمتم الدعوة لهذا اللقاء لا بدّ أن يكون عنوان (لقاءات السجود) قد لفت انتباهكم. ومن المحتمل أنكم فكرتم في قرارة أنفسكم أن هذه المدرسة ستعلمكم كيف تصلون وتسجدون. ومن الممكن أن تكونوا قد حضرتكم بدافع الشوق للقاء مع الرب بصورة شخصية، أو لإقامة علاقة جديدة معه، أو أن تسعوا لتقوية هذه العلاقة معه.

لقد قرأت لكم في اللقاء الأول وصية الأم تريزا. وسأعيد عليكم هنا قراءة هذا النص.

في الحقيقة نحن هنا؛ لأننا نريد الالتقاء بيسوع، وهدفنا هو أن نختبر كيف ينظر يسوع إلينا بمحبته الفائقة.

نعمننا في اللقاء الأول بالوقت الكافي لنتمتعن في الإفخارستيا. وفهمنا أنه السر الأعظم لإيماننا: إن يسوع، ابن الله، موجود حقيقة وجوهراً في القربان المقدس في الخبز والخمر. في هذا المساء سنلتقي به خلال صلاة السجود. فماذا سنقول له؟ وماذا سنفعل في الوقت الذي سنقضيه أمامه؟

في هذا اليوم سنكون مع مرثا ومريم اللتين عرفتا يسوع، وكانتا صديقتين له. معهما سنتعلم طريقة الصلاة، فقد حظيتا برؤية يسوع. أما بالنسبة لنا فسيكون لقاءنا أصعب؛ لأننا لن نرى بأعيننا إلا برشانة صغيرة، وبعين الإيمان نحن نعلم ونعترف أن يسوع سيكون حاضراً بيننا كما كان حاضراً مع مرثا ومريم.

مرثا ومريم

سنقرأ أولاً عن التقاء يسوع بمرثا ومريم من إنجيل لوقا (لوقا ١٠ : ٣٨ - ٤٢) كتب الأب جاك فيليب Jacques Philippe في كتابه "وقت لله"

(Du Temps pour Dieu) إن الصلاة ليست تقنية أو طريقة معينة، لكنها عطاء، وعلينا ان نرحب بها".

١) مكان الصلاة: إن مرثا تستقبل يسوع في بيتها

كلّ منا يجد مكاناً خاصاً يلتقي به بيسوع. نحن اليوم سنلتقي به هنا، حيث سنصمد القربان الأقدس بعد قليل. لكن غداً سنلتقي به في كنيسة مجاورة أو في بيتنا. يمكننا أن نجد زاوية للصلاة في البيت، حيث نضع أيقونة وبعض الزهور والشموع... تساعدنا على وضع أنفسنا في حضرة الله. إن يسوع موجود دائماً في بيت القربان الأقدس، لكن إن لم نستطع الذهاب إلى الكنيسة، فيسوع حاضر فينا في كل آن وأوان. يقول لنا القديس متى في إنجيله (٦ : ٦) "أما أنت فإذا صليت فادخل حجرتك وأغلق عليك الباب وصلّ لأبيك الذي في الخفية" فيمكننا أن نلتقي بالرب أينما كان؛ لأنه هو دائماً موجود في قلبنا وهو ينتظرنا ويدعونا للقاءه.

٢) علينا أن نعقد النية على الصلاة

هذا ما فعلته مرثا، عندما دعتة إلى بيتها، فهي ربة البيت. يعرف بعضنا هذا المقطع من رؤيا يوحنا: "ها أنا ذا واقف على الباب اقرعه، فإن سمع أحد صوتي وفتح الباب، دخلت إليه وتعشيت معه وتعشى معي". (رؤيا يوحنا ٣ : ٢٠) وهذا ما حصل مع مرثا. قرع يسوع الباب، ففتحت له واستقبلته في بيتها.

إذا أردنا أن نصلي، علينا أولاً أن نخصص بعض الوقت للصلاة. هذا ما فعلتموه اليوم بتواجدكم هنا في هذا المكان. وهذا ما تستطيعون فعله، كل يوم في بيوتكم. لا تأتي الصلاة وحدها. علينا أن نعقد النية ونخصص لها الوقت "الآن أريد أن أصلي". في هذه اللحظة، أنتم تفتحون قلوبكم ليسوع الذي يدق على بابه. كانت القديسة تريزا الافلية Therese d'Avilla تقول لراهباتها: "عندما نصلي، أهم شيء علينا فعله، هو أن نصمم على أن نصلي".

٣) فلنفتح قلبنا له

يستكمل لوقا حديثه فيقول: "وكانت مرثا مشغولة بأمور كثيرة من الخدمة" (لوقا ١٠ : ٤). مرثا كانت مهمكة في عملها. فتركته لكي تحضر الطعام، أما مريم فكانت تجالسها. لو كنتم أنتم قد دعيتم وتركتم وحدكم بسبب انشغال ربة البيت فماذا تقولون؟ هذا ما فعلته مرثا، وما نفعله نحن عندما نصلي، فنبدأ بالصلاة، فنجلس أو نركع، ثم تحاصرنا الأفكار من كل جانب فتبعدنا عن التفكير بيسوع. جميعنا يقف الواحد أمام الآخر، لكننا في الحقيقة نتعامل وكأننا وحدنا الغارقون في أفكارنا. فنحن مثل مرثا. نبتنا طيبة عندما نبدأ صلاتنا وعندما نضع أنفسنا في حضرة الله. رغبت

مرثا أيضاً باستقبال يسوع كما يجب. إنها امرأة سخية وتريد أن تعني بيسوع. لكنها عندما تهتمك في عملها تكون غير قادرة على تكريس وقتها ليسوع، والعيش معه بلقاء حقيقي.

نحن نعلم هذا، فعندما نكون منغمسين في عمل ما، أو لعبة أو تسلية، نصبح وكأننا "خارج أنفسنا". وعندما تجذبنا الأمور الخارجية، يسيطر علينا الشعور والإحساس، ويمتلكنا العنف والغضب والتخاذل وعدم الصبر. لدى مرثا، يمكننا أن نتكلم عن الغيرة، لكن من المحتمل أنها لا تريد أن تجلس بالقرب من يسوع، وتفضل أن تعمل في المطبخ؛ لأن مزاجها يختلف عن مزاج مريم. وهي - في الحقيقة - غير قادرة على كل هذا العمل، ولا أحد يكثرث بها، وكأنها تعمل وحدها. فربما كان ليعازر مع الرسل، فيسوع لم يكن يتحرك دون تلاميذه. فهي تشعر بأنها تعمل وحدها. أظن أننا كنا في حالات مماثلة، وأصبحنا لا نعرف كيف نخرج من هذا المأزق؛ مع الأولاد، في الدراسة، في العمل...

لا تتساءل مرثا إن كان كل ما تعمله ضرورياً، أو مهماً، أو له حق الأولوية، أو ما كان يجب أن يكون مقبولاً. هذا ما يحصل، عندما نكون منغمسين في أعمالنا، ولا نرى أين نحن، فنشعر بأننا قد غرقنا.

في ذلك الحين تحضر مرثا عند يسوع، كما يجب أن تفعل. فلا تبقى في المطبخ، لتتدمر وحدها. فهي تتقدم منه. في الحقيقة هي دعتة وتركته وحده، وها هي الآن ترجع إليه. هذا هو ما يحصل معنا، عندما نبدأ بالصلاة ونجعل أنفسنا في حضرة الله، فإننا ننتبه على أننا ابتعدنا عن يسوع وانهمكنا في أفكار عديدة

ونسيناه. في هذه الأوقات علينا أن نجمع كل هذه الأفكار ونقدمها ليسوع: أغلاط العمل، أطفالنا المرضى، كيفية إعالة العائلة... لكن الشيء الذي سيساعدنا في هذه الحال هو أننا نتكلم مع يسوع، كشخص يتكلم مع آخر.

"فأتت مرثا إلى يسوع" وهذه كانت الخطوة الأولى "وقالت له" وهذه كانت الخطوة الثانية. نستطيع أن نكون أمام يسوع، وفي الوقت نفسه بعيدين عنه. أي أن نكون بحضرته، ولا نفكر إلا بأنفسنا ومشكلاتنا.

عندما تقدمت مرثا من يسوع، كانت تعاتبه: "يا رب أما تبالي أن أختي تركتني وحدي؟" في الحقيقة كان هذا عتاباً، لكن يسوع يفضل هذا العتاب على أن تبقى مرثا من المطبخ تتذمر.

عندما نصلي، يمكننا أن نتكلم مع يسوع بكل بساطة، ونعبر عما في قلبنا دون تملق. تذمرت مرثا لكنها نسيت أنها ليست وحدها، لأن مريم كانت تجامل يسوع، وهو عمل مهم في الضيافة. لكن الكلمة الرئيسية في هذا التذمر هي "وحدي". فهي تشعر أن الكل تركها، ولا يكثر أحد بما تفعله. ألا نرى أنفسنا في بعض الأحيان وحيدين مثل مرثا؟ كانت الوحدة هي مشكلتها الرئيسية.

نحن أيضاً عندما نكون في حالة غضب نتفوه بأشياء عميقة في الصلاة لم نفكر بها من قبل. وهذا ما يتوقعه يسوع منا: فهو يريد أن يسمع منا حقيقة حالنا.

فهو لا يتوقع منا صلاة جميلة، مدروسة، تدل على أن كل شيء على ما يرام.

هنا مرثا تعبر عم غمها. هي من الفئة العملية. عندما نعمل باستمرار، قليلاً ما نعبر عما يجول في داخلنا وعن رغباتنا العميقة. ما تريده مرثا في الحقيقة هو أن يستمع أحد إليها، ويقدرها، ويقدر ما تفعله. مثل رب البيت الذي عليه أن يعمل حسب مشيئة موظفه أو زبائنه أو شركائه في العمل، وعندما يرجع إلى البيت، يجد أنه من اللازم عليه أن يرضي امرأته وأولاده. فمن يستمع إليه؟ وكذلك المرأة التي تحملت عناء النهار وتحملت أولادها ومشكلاتهم، عندما يعود زوجها تعباً، ينشد قليلاً من الراحة؛ فمن يستمع إليها؟ أو الرجل المسن الذي يعيش وحده ولا يعرف كيف يحل مشكلاته، من يستمع إليه أيضاً؟ والطالب الذي عليه أن يستمع للجميع وهم لا يتكلمون إلا عن أنفسهم. فمن يستمع إليه؟

نحن كلنا نحيا حياة مرثا، لكن مرثا أتت إلى يسوع وصارحته بمشكلاتها.

قال أحد الحكماء: إن لدينا فماً واحداً، لكنّ لدينا أذنين اثنتين؛ فعلينا أن نستمع ضعيفي ما نتكلم به. هذا صحيح، لكن علينا أولاً أن نطرح على الرب مشكلتنا ثم نستمع إليه كما يقول المزمور: "توكلوا عليه أيها الشعب كل حين واسكبوا أمامه قلوبكم. إن الله معتصم لنا". (مزمور ٦٢ : ٩). علينا أن نسكب أمامه قلوبنا ونقول له ما نعيشه بكل جرأة ووضوح: أحزاننا وأفراحنا كما يقول المزمور "إلى الله وحده تطمئن نفسي" (مزمور ١ : ٦٢). ماذا يفعل يسوع ليجعل السلام يعم في قلبي، ليعطيه الراحة والطمأنينة؟ لذا سنقف على ما فعله يسوع مع مرثا.

٤) كيف نجعل الطمأنينة في قلوبنا؟

دعونا نستمع إلى جواب يسوع، وهذا يعني أنه يجب دائماً، كما أجاب مرثا. يسوع يناديها باسمها، وهذا يعني أنه يتكلم ويريد أن يخصصها بالكلام.

فالكلام موجه لها قبل أن يكون للآخرين. فلو تخيلنا أنفسنا خارجين من المطبخ أو من عملٍ شاق ونحن متعبون جداً وتذمر ليسوع. ألا ينادينا بكل هدوء ومحبة، ويدعونا باسمنا، لا بل يأخذنا بيده، ويجعلنا نجلس بقربه؟

الآن جاء وقت الصمت؛ فعلينا أن نستمع إلى ما يقوله لنا يسوع.

عندما نطق يسوع اسم مرثا، تغيرت وأصبحت من جديد صديقة المسيح، ولم تعد الخادمة التي تتذمر من عملها. من الممكن أن مرثا أحست حينها بأنها إنسانة لها احترامها.

أنتم تدركون جيداً حالتكم النفسية عندما يناديكم أحد الأشخاص باسمكم وبمحبة، كيف تشعرون براحةٍ وسرور عظيمين. فعندما ينادينا يسوع باسمنا، فإن هذا النداء سيغير قلبنا، مثلما غير قلب مرثا. وحتى نستمع إلى هذا النداء كان علينا أولاً أن نفتح

قلوبنا له ثم نستمع إليه وهو يقول لنا يا... انك مرتبك بأمر كثيرة. مثل مرثا المذمومة، نحن لا نفكر إلا بأنفسنا. فكان يسوع يعرفها جيداً ويعرف كل واحدٍ منا ويريدنا أن نبوح بأسرارنا ومشكلاتنا له، ليس من أجله هو لكن من أجلنا نحن.

ثم يقول لمرثا: "إن الحاجة إلى أمر واحد. فقد اختارت مريم النصيب الأفضل ولن ينزع منها". (لوقا ١٠: ٤٢). يقول لها يسوع إنه سمع تدمرها ومشكلاتها وجهدها لكنه يريد أن يدعوها لشيءٍ أهم وأن يرفع تفكيرها. ما هو هذا النصيب عرفته مريم وهي تعلمنا به. فالنصيب الأفضل هو أن نكون قريبيين من يسوع ونستمع إليه. كان هذا الجزء الأول من الصلاة، فبه أَمَلنا قلبنا، وعندما دعانا باسمنا جعل الرب فيه السلام.

٥) لنستمع إلى يسوع

سنتمعن الآن بصمت في حضور الله؛ لأن قلبنا مستعد لمجيئه. هنا أريد أن أذكركم بما كانت تقوله القديسة إليزابيث Elizabeth الكرملية: "يا إلهي أنت الثالث الأقدس الذي أعبدته... لا تسمح بأن أتركك وحدك في نفسي، لكن اجعلني باقية معك بكل كياني، وإيماني متيقظ ومتعبد لك، وأن أبقى دائماً بين يديك الخلاقة".

في هذا الوقت علينا ألا نفعل شيئاً وألا نتفوه بكلمة. فكما قالت القديسة إليزابيث Elizabeth، علينا أن نبقى بين يدي الخالق. نحن في راحة تامة والله يخلق فينا ما يريد، حتى لو لم نشعر بشيء. وهذا ما يحصل في أغلب الأوقات. وإذا تشتت أفكارنا، فعلينا أن نجتمعها من جديد ونقدمها ليسوع بكلماتٍ مثل هذه: "يا يسوع أنت حقيقة موجود هنا". وإذا كنا أمام القربان، فنقول: "يا يسوع أنت موجود هنا حقيقة".

في القربان المقدس، إني أحبك" وإذا أحسسنا بالتعب فيمكننا أن نعيد كلمات مثل هذه: "في هذا الوقت حتى لو أنني متأكد من أن الرب يعمل فيّ. فلأحافظ على السكوت وأتركه يؤثر فيّ؛ لأن حضوره خلاق. فهو في هذا الوقت، يبني ويقوي عزمي ويضمّد جراحاتي، حتى لو لم أشعر بشيء. يا يسوع إني أؤمن بك وكل ثقتي فيك".

رأينا في اللقاء الأول أهمية وضع أنفسنا في حضرة الله، ولكن الخبرة علمتنا أن الله يتكلم عادة في آخر الصلاة، فهو، إما أن يجعلنا نفهم شيئاً جديداً، أو أنه يملؤنا قوةً وفرحاً. لهذا السبب، فإذا سئمنا قليلاً، علينا أن نرجع إلى حضرة الله طوال الوقت الذي نريد أن نخصصه للصلاة، لئلا نضيع ما يريد أن يقوله لنا السيد المسيح.

٦) إنهاء الصلاة بهدوء

عندما ننهي وقت الصمت هذا علينا أن نودع يسوع بهدوء. فعندما ننهي صلاتنا علينا أن نبقي هادئين لبعض الوقت، ونبتدئ عملنا ببطء وكأننا لا نريد أن نفقد حضوره. نحن نتصور أن مرثا رجعت إلى عملها، لأنه كان عليها أن تنهي الطبخ، لكنها لم تكن كما كانت عليه من غضب أختها.

فأصبح حب يسوع في قلبها، وكأنها رافقها إلى المطبخ. نحن أيضاً لا نستطيع أن نبقي طوال النهار في الصمت، لكننا أمضينا بعض الوقت مع يسوع، فنستطيع الآن أن نحفظه في قلوبنا في كل ما نفعله. في نهاية الصلاة يمكننا أن نأخذ قصداً واقعياً لنطبق ما تعلمناه في الصلاة.

هنا، سنحت لنا الفرصة لأن نسجد معاً. وفي الوقت الذي يلي الصلاة، تسنح لنا الفرصة أيضاً لأن نتبادل الآراء بكل هدوء. فندعوكم أن تبقوا كل يوم في بيوتكم أو في الكنيسة من خمس إلى عشر دقائق أو أكثر في حضرة الله.

هذا الوقت الذي نقضيه معاً، ما هو إلا دعوة للقاء يسوع كل يوم.

الآن سنستعد للالتقاء بيسوع في سر القربان الأقدس. في الأوراق التي سنقوم بتوزيعها، ستجدون مقطعاً من الإنجيل الذي يروي لنا زيارة يسوع لمريم ومرثا وكلمات الأم تريزا. يسوع نفسه الذي كانت تراه مرثا ومريم، موجود بيننا. فدعونا نفتح مثلهما قلوبنا له، وندعه يفعل بنا كما يشاء.

اللقاء الثالث

صلاة الطلب

مقدمة

تأملنا في اللقاء الأول الحضور الحقيقي ليسوع في القربان المقدس. وفي اللقاء الثاني تعلمنا من مرثا ومريم أن نخاطب يسوع، وأن نفتح قلبنا له، وكيف نتأمل في حضرته صامتين. أما اليوم فسنتكلم عن الصلاة التي ما زالت تنبع من القلب منذ بدء الخليقة؛ أعني صلاة الطلب. فالإنسان هو خليفة الله، وهو يشعر أنه موجه - بهذا السبب - نحو الله. إن احترام الله وعبادته أمران مغروسان في الإنسان، ومن طبيعته أن يلتجئ ويطلب المساعدة ممن هو أقوى منه، خاصة عند إحساسه بالضعف، أو عند مواجهته للمصائب، حتى الذين يدعون عدم الإيمان. ففي حال وقوعهم في مصيبة، كمرض أبنائهم أو الطلب من أجل شفاء والدهم، نرى أنهم يلتجئون إلى قوى أعظم منهم؛ من من الطلبة لم يصل ويتوجه إلى الله بالطلب قبل الامتحان لكي ينجح؟!

صلاة الطلب من طبيعة الإنسان. لنستمع إلى القديسة تريزا الطفل يسوع كيف تصف هذه الصلاة: "ما أعظم قوة الصلاة! وكأنها ملكة، باستطاعتها الدخول في أي وقت على الملك، والحصول منه على ما تريد". (من سيرتها الشخصية).

شجعنا يسوع نفسه أن نرفع طلباتنا إلى الله حين علمنا أن نصلي "الصلاة الربانية". وفي كلمة الوداع التي قالها للرسول، أكد قائلاً: "الحق الحق

أقول لكم: إن سألتكم الأب شيئاً باسمي أعطاكم إياه... اسألوا تنالوا فيكون فرحكم تاماً" (يوحنا: ١٦ : ٢٣، ٢٤). صلاة المسيحي هي الصلاة التي تربطه بصلاة المسيح الذي يصلي لآبيه فيقول: "أبانا... ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك". لذا سنهتم اليوم بصلاة الطلب بمساعدة الأعمى برتماوس.

برتماوس

يسرد لنا القديس مرقس لقاء برتماوس ويسوع (مرقس ١٠ : ٤٦ - ٥٢)

١) برتماوس ينادي يسوع

عندما أنهى يسوع زيارته إلى أريحا وأراد الخروج منها، كان قد ذاع صيته في المدينة، فسمع الأعمى برتماوس صوت الجمهور المواكب له، وكان قد سمع مسبقاً بأفعال يسوع، عندئذ أخذ يصيح بكل ثقة وعفوية ودون تفكير، بدأ بالصراخ، فلم يستطع أحد أن يسكته. نحن أيضاً لا نرى يسوع، لكن برتماوس يرينا أن القضية سهلة، نحن نعلم أن يسوع هنا، فما علينا إلا أن ندعوه.

٢) برتماوس يعترف بقوة المسيح

كان برتماوس يصرخ بأعلى صوته: "رحماك، يا ابن داود!". مع أنه كان أعشى إلا أنه رأى أكثر من ذوي العيون المفتحة. في الحقيقة لم يكن يعرف يسوع، لكن قلبه كان يقول له، إن يسوع هو شخص مميز. لهذا السبب يسميه ابن داود.

فالنداء بهذا الاسم هو فعل إيمان. ثم - بعدئذٍ - يذكر اسمه "يسوع". فكل يهودي محترم، على يقين بأن يسوع معناه (الله يخلص).

فبرتماوس يتوسل إلى يسوع مباشرة، ذاكراً اسمه وصفته. هو يتوسل إلى شخص لا يعرفه، لكنه يؤمن إيماناً كبيراً بأن يسوع قادر على مساعدته. ولهذا السبب وبكل إيمان يقول له: "رحماك". ونحن عندما نطلب من شخص أن يرحمنا، نطلب منه أن يفتح قلبه وينظر إلى بؤسنا. فبرتماوس ينادي يسوع لينظر إلى بؤسه وشقائه.

٣) برتماوس لا يتخاذل

ماذا حدث؟ "فانتهره أناس كثيرون ليسكت"، هذا ما نختبره مرات كثيرة. نصلي، أم نقول إننا نصلي، وبعض الناس يقولون: "أنت أبله، لأن الصلاة هنا لا تجدي نفعاً"، أو أن هذه الأصوات الخافتة في داخلنا تقول لنا: "هذا لا يجدي نفعاً. لا تضايق الرب لأن لديه أمور كثيرة أخرى. أنظر إلى شقاء العالم. أتظن أنه يهتم بما تريده منه؟ نعم، توجد أشياء كثيرة تدفعنا إلى الصمت والسكوت. لكن برتماوس لا يأبه بها ويزداد صراخاً. لا شيء يوقفه.

إن رجاءه يقوي إيمانه بيسوع. فيعيد دون ملل: "رحماك يا ابن داود! فوقف يسوع وقال...".

سمع يسوع صوته، على الرغم من أن صوت الجمهور كان عالياً؛ لأن برتماوس كان يزداد صراخاً دون ملل. فهذا مهم جداً لبرتماوس. ففي بعض الأحيان علينا أن نصرخ بكل قوانا نحو الله.

٤) فلنستمع إلى نداء يسوع

"فوقف يسوع وقال: ادعوه". يريد يسوع هنا أن يأتي برتماوس إلى جانبه، وأن يكون بمقربة منه، دعاه لأنه يريد أن يقيم علاقة خاصة بينه وبين برتماوس.

فالذين انتهره هم أنفسهم يأتون ليساعدوه، فيقولون له: "تشدد وقم فإنه يدعوك". من الغريب أن يخاطبوه بعبارة "تشدد" لأن برتماوس أظهر شجاعة وثقة كبيرتين عندما أرادوا أن يسكتوه. ثم قالوا له: "قم فإنه يدعوك". فهذا يعني أن برتماوس كان يصرخ لكنه كان جالساً في مكانه. وهذا ما يحدث - عادةً - معنا، فعندما نطلب شيئاً فإننا نطلبه بحرارة؛ لأننا نريده من كل قلبنا، لكننا نصلي وكأننا مشلولون. نلقي بكل

حملنا على الله وننسى أن علينا المشاركة بالأشياء التي نستطيع أن نقوم بها لأننا نريد هذا الشيء بكل تأكيد، وقلنا يتوق إلى إتمامه، لكن بعضنا يتخاذل. فهذا الخوف يمنع الله من أن يلبي مطلبنا، أو أن يسمعنا، فمن الممكن أن ما نطلبه يكون مضرراً بنا.

٥) نوجه صلاتنا ليسوع

عندما نصلي، علينا أن نكون على يقين بما يأتي:

أولاً: أن نعرف معرفة تامة أننا نوجه صلاتنا ليسوع ابن داود، ابن الله،

وهو القادر على مساعدتنا. هذا هو إيماننا.

ثانياً: أن نعبر عن طلبنا "رحمك" تعبيراً بسيطاً، وأن نصرخ للمساعدة.

لكن يسوع يطلب منا أن تتجاوز هذا النداء، فيقول لنا: "تعال إلي، إني أناذك". فهذه الصرخة تصبح حديثاً بيننا وبين الله.

ثالثاً: أن نقرر الاقتراب من يسوع ونجعله يعمل فينا، وبذا يفتح قلبنا له. ماذا حدث مع برتماوس؟ "فألقي رداءه ووثب وجاء إلى يسوع". عندما سمع الأعمى أن يسوع يناديه "وثب" وكان كله أملاً بأن يسوع سيحقق شيئاً فيه.

رابعاً: الرجاء، نحن نؤمن مراراً بأن يسوع يمكنه أن يساعدنا نظرياً، ولكننا في الحقيقة، لا نؤمن بأنه سيساعدنا فعلاً. فعندما نصرخ لله، فإننا نصرخ من شدة الألم. دموعنا تعبر عن شقائنا؛ أما إذا صلينا بكل إيمان، فإننا نأمل بأن الله سيساعدنا، حينئذٍ لا مجال للتخاذل. فردد: "يا يسوع أنا أثق بك دائماً".

دعونا نرجع إلى برتماوس. فهو مليء بالرجاء والثقة وهبّ مسرعاً إلى يسوع، ولا ننسى أنه كان أعمى. فيقول القديس مرقس: "فألقي عنه رداءه". هو سمعت فقير، وكل ما يملكه هو ثوبه، الذي يستر عنه البرد والمطر وعيون الناس. فالشيء الوحيد الذي يعطيه هو الأمان. لكن عندما سمع نداء يسوع، ألقى رداءه.

ونحن، عندما نتوجه إلى يسوع، علينا أن نضحي بكل ما نملك. فيزول اعتمادنا على ذاتنا، وعلى ما نملكه، لأن اعتمادنا الكلي يكون على الله وحده.

٦) التكلم مع يسوع

"فقال له يسوع: ماذا تريد أن أفعل لك؟"

سؤال غريب لماذا يسأله يسوع؟ ألا يرى أنه يريد أن يبصر؟

لكن هذا السؤال يلفت نظرنا إلى أمرين:

أ) تشبه صلاتنا – في بعض الأحيان – من يقول: "أمل أن يكون الطقس جيداً" أو "أمل أن أنجح في الامتحان". ونعترف أننا نصلي – في كثير من المرات – عندما نقول "أمل أن أشفى". وفي الحقيقة نحن لا نفكر بالله، فلا

يوجد حوار أو لقاء معه؛ وهذه ليست بصلاة. فلنتمثل برتماوس عندما نوجه صلاتنا إلى الله، ولتكن صلاتنا حواراً مع شخصٍ محبٍ ينتظرنا.

ب) هذا السؤال يريد يسوع أن نعبر عما نريده بطريقة واضحة، مثلما كان يريد أن يعبر برتماوس عما ينتظره من يسوع. لأننا عندما نعبر عما نريد، نستغرب أننا نطلب – أحياناً – أشياء غريبة لا معنى لها. فمثلاً إذا صليتُ لكي يطرد الله الشخص السفيف الذي يشتغل معي، سأرى أن هذا ليس بالحقيقة ما أريده. فبإمكاني أن أطلب من الله أن تتحسن علاقتنا. فجواباً على سؤال يسوع سأقول: "أعطني يا رب القوة لأعمل مه هذا الموظف. أرني ما أستطيع أن أعمل لأعيد السلام بيننا. افتح عيني لأرى الطريق التي تريني إياها". قالت القديسة تريزا الأفلية: "إن الله يحب الأشخاص الشجعان". يريد مني، مثل برتماوس، أن أثب بقوة، وأواجه هذه الحالة الصعبة الراهنة.

٧) صلاة الطلب تساعدنا على أن نؤدي الشكر لله

عندما نطلب شيئاً من الله فإننا نثبت ثقتنا به. وعندما نصلي بثقة فإننا نؤدي له الشرف الذي يستحقه. جاء في كتاب التعليم المسيحي: "كل حاجة تستطيع أن تتحول إلى طلب. إن المسيح الذي أعطى كل شيء وخلص الجميع يكون ممجداً عندما نطلب من أبيه شيئاً باسمه". (كتاب التعليم المسيحي رقم ٢٦٢٣).

من هو الأب الذي لا يفرح عندما يتكلم أولاده معه بكل ثقة؟! هذا ما فعله برتماوس. والآن هو واقف أمام المسيح، ويمكنه أن يعبر عن طلبه بالحاح.

"رابوني أن أبصر". إن المعلم، أصبح معلمه "رابوني". برتماوس لا يعرف يسوع لكنه الآن يشعر نحوه بالمودة. فمن اللحظة التي ناداه فيها يسوع، شعر برتماوس بأن يسوع أصبح معلمه. اعتبره صديقاً، فهو الذي ناداه ليأتي بقربه، وهو الذي يريد أن يساعده شخصياً. "أن أبصر" يقول برتماوس. هذا هو الشيء الذي يريده، وهذا هو الكلام الصريح الذي يحبه يسوع في الصلاة. علينا أ، نتحدث إليه بما نريد وقلبنا مليء بالرجاء والثقة التامة.

٨) يسوع يدعونا أحراراً

كان جواب المسيح "اذهب، إيمانك خلصك". لا يطلب يسوع منا أن نستعبد له، فأول كلمة قالها له هي "اذهب". عندما نطلب من شخص أن يساعدنا نشعر بأننا مدينون له. وبعض الأشخاص يجعلون المتوسل، يشعر بواجب الشكر والامتنان رغماً عنه. لكن يسوع يتركنا أحراراً ولا يحقق أي ضغط علينا. قال لبرتماوس: "إيمانك خلصك". لقد بدأنا القصة بإيمان برتماوس، الذي أعطاه الشجاعة كي يطلب شفاءه ولا يكثرث إلى الأشخاص الذين عملوا على تسكيتهم. وفي النهاية ثبت يسوع نداءه قائلاً إن إيمانه وثقته بيسوع هما اللذان عملاً الأعجوبة.

٩) ما العمل عندما لا يستجيب الله إلى صلاتنا؟

ربما صلينا أياماً، أو أسابيع، أو أشهراً أو سنين، ولم يستجب الله لصلاتنا.

هل تأتي عدم الإستجابة من الله الراض لصلاتنا؟ أم لأننا لا نبالي به؟ أم لأنه يريد شيئاً آخر لنا؟ ألم نمر بهذه التجربة: لماذا نصلي؟ فالرب لا يستجيب لنا؟ ربما نهمل الصلاة، ونغضب على الله ونفقد الأمل – خاصة – عندما نواجه صعوبات كبيرة ومواقف مؤلمة، مثل: المرض، أو موت شخص عزيز علينا، فنصبح عاجزين عن فهم عدم الاستجابة. وربما نبحت عم عمل، ونبقى مدة طويلة نواجه حالتنا المادية،

ولا نجد مساعدة من الله. فنقول لماذا لماذا لا يساعدني الرب ولا يبعد عني هذه الحالة أو يشفي رفيقي ويخفف عذابي...لماذا؟

في كتاب أيوب نجد أن الإنسان لا يستطيع أن يفهم تصرف الله. وفي كتاب الحكمة نقراً: "فأي إنسان يعلم قضاء الله أو من الذي يتصور ما يريد الرب؟" (الحكمة ٩ : ١٣). وفي أشعيا "إن أفكارى ليست أفكاركم وطرقكم طريقي، يقول الرب". (اشعيا ٥٥ : ٨). لا توجد إجابة نهائية لهذا السؤال.

الجواب الوحيد الذي نستطيع أن نعتمد عليه هو يسوع المسمر على الصليب.

في الرسالة إلى العبرانيين نقراً: "في أيام حياته البشرية رفع الدعاء والابتهاال بصراخ شديد ودموع ذوارف إلى الذي بوسعه أن يخلصه من الموت، فاستجيب لتقواه" (عبرانيين ٥ : ٧). نعم استجاب الأب لصلاة يسوع وخلصه من الموت، لكن بعد القيامة. أتظنون أن الرسل فهموا في هذا الوقت لماذا سمح الله بأن يُقتل ابنه بموت شنيع كهذا؟ إنهم لم يعملوا أنه سيقميه من بين الأموات. وحتى لو عرفوا ذلك، فهل كان باستطاعتهم أن يفهموا لماذا وجب على يسوع أن يتحمل هذه العذابات والموت؟ ونحن، أنكون على استعداد لنسمح لله بأن يعمل فينا أشياء لا نستطيع فهمها؟ هل اخترتم مرة عندما لا يحقق الله ما تطلبونه، وبعد هذا فإننا نفهم لماذا كان من الأفضل ألا يجيبكم.

توجد في كنيسة قديمة في بفاريا (Bavaria) لافتة شكر كتبت عليها هذه العبارة: "شكراً يا رب لأنك لم تستجب لي لمدة سنين". ويقول لنا القديس بولس: "إننا نعلم أن جميع الأشياء تعمل لخير الذين يحبون الله، أولئك الذين دعوا بسابق تدبيره" (روما ٨ : ٢٨). هذا ما قاله بولس لتلاميذ روما بعدما فسر لهم "أن الروح أيضاً يأتي لنجدة ضعفنا لأننا لا نحسن الصلاة كما يجب" (روما ٨ : ٢٦).

عندما نطلب شيئاً من الله في الصلاة يجب علينا أن نؤمن بأن الله يعرف معرفة أكيدة ما هو صالحنا، وأنه يحبنا وسلبي طلباتنا بالطريقة الفضلى لنا، حتى لو أنه لم يستجب لما نطلبه، بالطريقة التي نطلبها. عندما نصلي، فإن الله نفسه يتوسل إلينا بأن

نؤمن به، مثلما آمن برتماوس. فيسوع هو الذي يطلب منا أن نؤمن بأنه يعرف تمام المعرفة ما هو الأفضل لنا. ونستطيع أن نتأكد من شيء واحد، ألا وهو أن صلاة الطلب تثمر دائماً ثمرها، مثل مقابلة يسوع مع أبيه.

لنشعر أننا أمام شخص حي، يحبنا ويسمعنا. حينئذٍ سثمر صلواتنا. نستطيع أن نقول الآن إن هذه نهاية تأملنا، لكن نريد أن نعرف ماذا فعل برتماوس.

١٠) برتماوس أبصر يسوع

"فأبصر من وقته وتبعه في الطريق". استجاب يسوع لصلاته. فأبصر برتماوس واستطاع أن يرى يسوع. استطاع أن يشعر بمحبة الناس له. فأراه يسوع كل هذا عندما شفاه. والآن يستطيع برتماوس أن يشعر بمحبة يسوع له من خلال نظرتة إليه. ففتح يسوع أولاً عينيه، ثم فتح قلبه لمحبتة. هذا ما يقوله كاتب المزامير: "استمع يا رب، إني أصرخ صراحاً فارحمني واستجب لي. فيك قال ربي: "ألتمس وجهه، وجهك يارب ألتمس". (مزمور ٢٧: ٨،٧). صرخ برتماوس، ورحمه الله، واستجاب إلى صلاته. والآن يستطيع أن يرى وجه يسوع ويلتمس محبته.

ولن يستطيع برتماوس أن يعيش دون هذه المحبة، فهو حرباً يتبع المسيح.

إن صلاة الإنسان تبدأ بصلاة الطلب. فيعتبرها البعض صلاة من مستوى متدنٍ، لكن إذا عشنا نحن هذه الصلاة، كما عاشها برتماوس، ستحملنا إلى أن نكتشف وجه يسوع. لا يكفي أن تستجاب صلاتنا، بل أن يكون اشتياقنا العميق قد تحقق. وهذا الاشتياق هو رؤيتنا يسوع أو الدخول معه في خبرة محبته لنا. فهذا نختبر ما قالته الأم تريزا: "هل اخترتم... بعيون أنفسكم بأية نظرة حب ينظر يسوع إليكم؟".

شفي برتماوس لكي يرى وجه يسوع. في أوقات خالدة، وعد الله بلسان النبي أرميا أنه من الممكن للإنسان أن يجد الله إذا رفع صلته إليه: "فتدعونني وتذهبون

وتصلون إليّ فاستمع لكم، وتلتمسوني فتجدونني، إذا طلبتموني بكل قلوبكم، وأدعكم تجدونني، يقول الرب". (ارميا ٢٩: ١٢ - ١٤)

في وقت السجود الذي سيبدأ الآن، دعونا نتوجه بكل ثقة إلى يسوع الذي نريد أن نجده إذا بحثنا عنه من أعماق قلوبنا. سيكون أمامنا في القربان الأقدس، كما كان واقفاً أمام برتماوس. سنبدأ باعتباره حاضراً بكل ثقة وإيمان، مع أن عيوننا لا تراه حقيقة لأنها لا ترى إلا البرشانة. علينا إياً أن نطلب من يسوع أن يفتح أعين قلوبنا، حتى نرى قلوبنا ما لا نراه بأعيننا؛ أي يسوع ابن الله الذي يطلب منا أن نحبه. ولنجعل كلمات يسوع "ماذا تريد أن أفعل لظ". تتردد في آذاننا وقت السجود هذا.

اللقاء الرابع

السجود والحمد والشكر

مقدمة

نلتقي اليوم للمرة الرابعة. عندما تكلم البابا يوحنا بولس الثاني عن سنة الإفخارستيا، ذكر أنها سنة نعمة؛ أي أنها سنة يفتح الرب لنا فيها مجالات كثيرة من النعم. في رسالته الأخيرة "ابق معنا يا رب" يقول: "تلد سنة الإفخارستيا من مشاعر الدهشة في الكنيسة إزاء هذا السر العظيم. وقد استحوذ هذا الاندهاش على قلبي، وألهمني كتابة رسالة "الكنيسة من الإفخارستيا"... ليت سنة الإفخارستيا تحمل الجميع على الوعي بأن سر الإفخارستيا يشكل كنزاً لا مثيل له أوكل إلى الكنيسة" (MND 29).

لقد تأملنا في هذه الثروة؛ أي الإفخارستيا، في لقائنا الأول، ثم تبعناه بالتأمل مع مرثا ومريم، فتعلمنا أن نفتح قلبنا ليسوع لنبقى بعد ذلك صامتين في حضرته. وفي اللقاء الأخير تعلمنا من برتماوس أن نصرخ بكل ثقة وأمل، وأن نبحت بكل قوانا عن لقاء يسوع.

يسرد لنا القديس لوقا هذا اللقاء وينهيه بالكلمات الآتية: "فأبصر من وقته وتبعه وهو يمجد الله، ورأى الشعب بأجمعه ما جرى، فسيح الله". (لوقا ١٨: ٤٣).

فاليوم سنتعلم أن نعيش ما عاشه برتماوس والشعب الذي كان يسبح الله.

(١) التسبيح والشكر

١ - ١) نؤدي الشكر لله: نحن نتكلم عن أداء الشكر وممارسته، وهذا يتطلب منا عناء أكبر من مجرد الطلب؛ لأن الطلب يأتي من طبيعة الإنسان وينطلق عفويًا، لكن الشكر يحتاج إلى ممارسة وعناء. هل تعرف قصة يسوع مع البرص العشرة؟ (لوقا ١٧: ١٢ - ١٩) إننا نرى فيها شيئاً بين هؤلاء البرص وبرتماوس عندما كانوا يصيحون "رحمك يا يسوع، أيها المعلم". مثل برتماوس، كانوا ينادون يسوع بالمعلم، وهذا يثبت أن يسوع هو شخص مميز. ومثل برتماوس كانوا يطلبون رحمته. إنهم يعرفون أن شفاءهم لا يأتي إلا من رحمة يسوع لهم. وباختصار، أرسلهم يسوع إلى الكهنة، وهم الأشخاص الوحيدون في ذلك الوقت الذين كانوا قادرين على أن يتأكدوا منهم إذا برئوا. وفي طريقهم إلى الكهنة، أحسوا بأنهم قد برئوا. أعني أنهم أبعادوا عن يسوع قبل أن يبرئهم، فتصرفوا كما قال لهم يسوع وذهبوا بملء ثقتهم. وبرئوا كلهم وهم في الطريق. لكن واحداً منهم هو الذي رجع، "وهو يمجد الله بأعلى صوته، وسقط على وجهه عند قدمي يسوع، يشكره".

دعونا نتصور ابتهاج ذلك الرجل، فكل شيء يراه ملائماً؛ ليظهر شكره وامتنانه. ورغم ذلك فإن يسوع، الذي كان مثلاً للتواضع، تقبل منه هذا الامتنان وقال: "أليس العشرة قد برئوا؟ فأين التسعة؟ أما كان فيهم من يرجع ويمجد الله، سوى هذا الغريب؟. هذه الكلمات تعبر عن حزن يسوع على نكران الجميل. فالفرح الأكبر ليسوع هو أن يكون أبوه ممجداً، وأن يرانا نحن خليقته التي تمجده. فرحمته تكمل بشكرنا وتمجيدنا للآب: معه وفيه ومن أجله.

كما أنه يحزن ويستغرب لعدم شكرنا وتمجيدنا إياه.

١ - ٢) علينا أن نشكر الله ونمجده، فهو خالقنا

إن شكرنا وتمجيدنا لله هو حق وعدل؛ لأنه هو الخالق ونحن خليقته.

تقول القديسة كاترينا السيانية في كتابها (Le Dialogue) إن الله قال لها عندما كانت في حوارٍ معه: "اعلمي يا بنيتي أني الكائن وأنت لا وجود لك". هذه الكلمات التي تبدو نافرة في أول وهلة، ما هي إلا الحقيقة. فإذا نظرنا إلى كياننا، خلافاً لما نحن عليه، نرى أن الله موجود في ذاته. فهو الله قبل الدهور لأنه كائن. أما أنا فحياتي بين يديه، وإذا تغافل عني لحظة واحدة فلا وجود لي.

في الرسالة الجامعة (الكنيسة من الإفخارستيا) نقرأ "إن الله تجسد ومات ليعيد الخليقة بأكملها إلى أبيه السماوي في نشيد تسبيح، لمن أوجدها من لا شيء" (EE8). لم يكن لزاماً على الله أن يخلق العالم من لا شيء. إن الخليقة موجودة من محبته الفائقة فقط. وأنا أيضاً، موجود بسبب محبته الفائقة لي. ليس صدفة كوني على قيد الحياة، فقد قرر الله أن يمنحني الحياة، بكل حرية منه.

فكل نفس حية تثبت محبته لي.

حقيقة ما ورد في كتاب الحكمة "إنك تحب كل الكائنات ولا تمقت شيئاً مما صنعت. فإنك لو أبغضت شيئاً لما كونته. وكيف يبقي شيء لم تُرده؟ أو كيف تحفظ ما لا تدعوه؟ إنك تشفق على كل شيء؛ لأن كل شيء لك أيها السيد المحب للحياة. فإن روحك غير قابلة للفساد، هو في كل شيء" (الحكمة ١١ : ٢٤ - ٢٦ و ١٢ : ١).

في وقت السجود، أعترف بأن الله خلقتني من لا شيء وبجبهه أعتبر أنا من الأحياء اليوم. في الحقيقة أنا لا شيء. لكن الله يحبني كثيراً، لهذا لم يتردد الله أن يرسل ابنه الوحيد ليخلص "اللا شيء" الذي هو أنا من موت أكيد وليعطيه الحياة الأبدية معه. بما أن الله قبِل أن يموت عن هذا "اللا شيء"، فعلي أن أقبل أن أكون لا شيء بصدورحبي. عندما أسجد وأعبد، فإني أقبل، وبالشكر، أني خليفة وأني أركع أمام خالقي، الذي هو المحبة بالذات. إني لا أعبد صنماً يسحقني أو يهينني. إني أعبد إلهاً وهو أب يبحث عني في كل آن لأنه رحيم.

١ - ٣) الإفخارستيا والشكر

ما القداس إلا فعل شكر نحو الله أبينا. و"إفخارستيا" تعني الشكر. ففي يسوع، وفي ذبيحته، وفي ال "النعم" غير المشروطة التي قالها لأبيه السماوي، هنالك "نعم" و"شكر" و"أمين" البشرية بأكملها (MND 26). يثبت هذا ما ورد في نصوص مقدمات صلاة الإفخارستيا والصلوات المتعلقة بها في القداس الإلهي. وإليكم بعض المقاطع التي تمثل هذه الصلوات.

في المقدمة العامة الرابعة، يقول الكاهن: "إنك في غلاك وجلالك لغتي جداً في حمدنا. غير أنه بفضلٍ منك أن نقوم بواجب تقديم الشكر لك، على الرغم من أن تسبيحنا لك لم يضيف شيئاً إلى مجدك العظيم، لكنه يعود بالنعمة والخلص علينا".

في صلاة الإفخارستيا الرابعة نقول: "إنه لحق أن نحمدك ونشكرك. وإنه لعدل أن نمجدك، أيها الآب القدوس؛ فأنت وحدك الإله الحي الحقيقي، الكائن قبل الدهور والدائم إلى الأبد ... أنت الصالح الأوحى، ينبوع الحياة، الذي أبدعت كل شيء فغمرت مخلوقاتك بالبركات... فنحن مع جوقات الملائكة وباسم كل خليفة تحت السماء، نسيح باسمك بابتهاج، ونشيد بجلالك قائلين: قدوس".

نعم، هذا ما يقوله الكاهن. أما نحن، فكيف نعيش هذه الصلاة؟ هل نرنم لله بفرح؟ هل نحن واثقون من أن شكر الله هو نعمة كبيرة لنا؟ كلنا نعلم أننا نسهو من وقت لآخر في القداس، أو قد يخطر على بالنا أشياء مختلفة تتعلق بمشاكل الحياة، أو قد نكون حزاني ولا نشعر بأننا قادرين على مدح الله بفرح وسرور.

فالشيء الوحيد الذي نريد أن نفهمه هو أن مديح الله لا يمكن أن يرتبط بحالتي الشخصية ولا بأي شكل كان. قد أكون بائساً أو غير منتبه في وقت القداس، لكنني أستطيع أن أتخذ قراراً أحمد فيه الله. كما أنني أستطيع أن أقرر بكل حرية ألا أنظر إلى حالتي الشخصية بل أنظر إلى الله، إلى يسوع الذي بذل ذاته من أجلي، لأنه يحبني. قد أقرر أن أشكره، ولكن هذا ليس بالأمر السهل.

إذا اخترنا هذا الموقف سنرى أننا بعد قليل نستطيع أن نمجد الله، الذي سيضفي علينا الفرح والبركة.

إن صلوات الإفخارستيا مليئة بالدوافع التي تحملنا على الشكر. ففي (صلاة الإفخارستيا الرابعة) يقول الكاهن: "ولما فقد مودتك بعصيانه لم تدعه في قبضة الموت، بل بادرت بني البشر برحمتك، وجعلتهم يبحثون عنك ويجدونك ... وإنك بلغت من حبك للعالم، أيها الآب القدوس، بأن أرسلت إلينا، في ملء الأزمنة ابنك الوحيد مخلصنا... وعاش مثلنا شبيهاً بنا في كل شيء، ماعدا الخطيئة. وبشّر المساكين بالخلص، والأسرى بإطلاق السبيل، وكسيري القلوب بالتعزية".

١ - ٤) زاوية في السماء تطل على الأرض

قرأنا منذ فترة قصيرة هذه الجملة من الإفخارستيا: "إن ابن الله تجسد ومات ليعيد الخليقة بأكملها إلى أبيه السماوي في نشيد تسبيح عظيم" (EE8). ففي القداس، جميعنا مدعوون للانضمام لفعل الشكر العظيم هذا الذي يقدمه الابن للآب. وبهذا العمل ننضم أيضاً للملائكة وجميع القديسين الذين يمجدون الله في الوقت نفسه. و"الرسالة" تكمل هذا القول وتقول "الإفخارستيا رباط يجمع بين الأرض والسماء". ويقول في مقطع آخر من الرسالة نفسها: "فنحن في احتفالنا بذبيحة الحمل نشترك في ليتروجية السماء، ونتحد بالجموع التي تهتف: "الخلص لإلهنا الجالس على العرش والحمل" (رؤيا ٧: ١٠).

فالإفخارستيا هي بالفعل زاوية من السماء تطل على الأرض" (EE19). هل سمعنا جيداً؟ إن الإفخارستيا هي زاوية من ابلسماء تطل على الأرض. هل ننفقه هذا الشيء عندما نشترك في ذبيحة القداس؟ إن السماء مفتوحة أمامنا! هذا ما يعنيه قداسة البابا عندما يقول: "فنحن في احتفالنا بذبيحة الحمل نشترك في ليتروجية السماء ونتحد بالجموع التي تهتف للحمل الذي على العرض".

غير أن المشكلة كما يعبر عنها القديس كيرلس المقدسي في تعليقه الأول: "إن حواسنا تقول لنا شيئاً آخر، نعم، إن السماء مفتوحة أمامنا لكننا لا نراها إلا بقوة الإيمان" فإن كانت حواسنا تنكر هذا فالإيمان يثبتته".

١ - ٥) الإفخارستيا هي مديح الخليقة جمعاء

عندما نقوم بالمديح والتمجيد، فإننا لا نفعل ذلك وحدنا، بل نمجد الله باسم الخليقة جمعاء وبالمشاركة معها. وهذه كلمات الصلاة الإفخارستيا الرابعة: وباسم كل الخليقة تحت السماء، نسبح اسمك بابتهاج". فكما أعاد يسوع لأبيه كل المجد، نحن مدعوون لأن نقدم للآب المجد والتسبيح باسم الخليقة جمعاء.

* نحن نمدح الله عوضاً عن الذين لا يمدحونه.

* نشكره عوضاً عن الذين لا يشكرونه.

* نعبده عوضاً عن الذين لا يعبدونه.

لا لأننا أفضل من الآخرين، بل لأننا نعترف بالجميل ما فعله لنا. عبّر القديس أوغسطينوس عن هذا بالكلمات الآتية: "خلقنا يا رب لأجلك، وقلبنا لن يرتاح إلا بقلبك... لذا علينا أن نمدحك بقلب ملؤه السرور". (اعترافات القديس أوغسطينوس). خلقنا الله له وهذا هو ما يثلج قلوبنا.

٢) كيف يمكننا أن نسبح الله في الواقع؟

٢ - ١) أن نحمده وقت القداس الإلهي: يشتمل القداس على صلوات وتراتيل نابغة من أعماق قلوبنا. نحن نشترك مع الكاهن بكل كلمة يقولها وننهي الصلاة بكلمة "أمين": أي أننا نوافق على ما يقوله الكاهن. وعندما نتناول، نعبر عن شكرنا للرب يسوع بصلوات كهذه:

* ربي وإلهي.

* يا يسوع إني أعبدك.

* يا يسوع إني أحمدك وأحبك وأعبدك.

* يا أبتاه، كن ممجداً لابنك يسوع.

٢ - ٢) في حياتنا اليومية

إن الشكر والمديح الذي نعيشه في القداس نستطيع أن نكمله في حياتنا اليومية. هنا أيضاً سندسعى لأن نوجه أعمالنا وأفكارنا نحو الله، وشيئاً فشيئاً سنتعلم أن نشكر الله على كل صغيرة زكيرة. علينا أن نتدرب ونتعرف إلى أصغر الأشياء لنؤدي الشكر لله على كل شيء.

* أشكرك يا رب لشعاع الشمس هذا.

* أشكرك يا رب لهذا الشتاء الذي ينبت الزهور.

* أشكرك يا رب لبسمة هذا الطفل... لهذا الطعام الذي على المائدة... لهذه المكالمات الهاتفية القادمة لي من صديق عزيز.

* أشكرك لحياتي، لعائلي، لعملي، لبيتي، لما أرتديه من ثياب، لأصحابي.

علينا ألا نتردد عن الشكر لله بالتراتيل والتسابيح.

٢ - ٣) علينا أن نشكر الله حتى في المواقف الصعبة

من السهل أن نشكر الله عندما تكون الأشياء سهلة. لكن ما الذي يحصل عندما تحل المصيبة؟ هل يمكننا أن نسبح الله ونشكره على العذاب؟ قضى القديس بولس أحوالاً عصيبة جداً في أسفاره، فكتب يوماً لأهل تسالونيكي يقول: "افرحوا كل حين. صلوا بلا انقطاع. اشكروا لكل شيء؛ لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح من جهتكم" (أفسس ٥: ١٦ - ١٨).

وكتب إلى أهل فيلبي: "افرحوا للرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا، ليكون حلمكم معروفاً عند جميع الناس. الرب قريب، لا تهتموا بشيء، بل اهتموا في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر، لتعلم طلباتكم لدى الله. وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع" (فيلبي ٤: ٤ - ٧). فهذه المقاطع ترجعنا إلى صلاة الطلب في كل الأحوال، إلا أن الرب يدعونا هذه المرة لأن نقدم طلباتنا ممزوجة بالشكر. ولكي نعيش هذا النمط في الصلاة، علينا أن نثق بالله بكل قوانا. فصلاتنا تصبح وكأنها (شيك أبيض) فنقول: سيدي، إني أطلب مساعدتك في تحقيق حاجاتي، وأشكرك سلفاً لما ستفعل لي لأنني أعرف أنك تحبني وتعرف ما يحلولي.

في أحد الأيام قال يسوع لإحدى الراهبات: "تذكري أن لا شيء يحدث دون إذني، فعليك أن تكوني مطمئنة جداً".

فلنتوجه إلى الله بصلواتنا بكل ثقة، كالأطفال عندما يتحدثون مع أبيهم ويشعرون بالبهجة والسرور لكل ما سيحققه لهم. هذه الثقة وذلك التسبيح يمنحنا السلام الآتي من الله الذي يفوق كل ذكاء.

٢ - ٤) صلاة الشكر مع المزامير

المزامير كنز لا يفنى؛ فهي تعيننا في صلاة المديح؛ لأن المزامير تعبر عن كل حالة في حياتنا. أحياناً نجد أن الكاتب يحثنا على مديح الرب وتأدية الشكر له وطلب معونته. يقول: "اسبحوا الرب فإنه صالح" (١٣٦: ١) هلموا! باركوا الرب يا جميع عبيدك الرب" (١٣٤: ١). وأحياناً أخرى يتكلم الكاتب مع الله مباشرة: "أحمدك من كل قلبي فإنك استمعت لأقوال في. أمام الملائكة أعزف لك، أسجد نحو هيكلك قدسك. وأحمد اسمك لأجل رحمتك وحقك؛ لأن عظمة قولك فوق كل اسم لك، وقد أجبني يوم دعوتك وزدت نفسي قوة". (١٣٨: ١ - ٣)

فمن الضروري عندما نمدح أو نشكر الرب، أن نخاطبه من القلب إلى القلب. في هذه الأمسية، سنجهد بممارسة صلاة الشكر أمام الله الحاضر في القربان الأقدس. ونتوجه إليه ببعض الصلوات البسيطة التي ستساعدنا على تعميق حضور الله فينا، مثل:

* إن السماء مفتوحة أمامي.

* أمامي في الإفخارستيا يسوع الذي هو الحمل الجالس على العرش.

* يا يسوع، في هذه اللحظة إني أعبدك بالاتحاد مع أمك مريم والملائكة والقديسين.

* أيها الروح القدس افتح عيني وقلبي وساعدني على الإيمان.

أثناء العبادة، وفي السجود، يساعدنا التأمل على معرفة العجائب الفائقة التي عملها الله في قلوبنا. فلنتأمل قصة البرص العشرة، ولنستمع إلى سؤال يسوع: "أين التسعة الآخرون؟ أما كان فيهم من يرجع ويمجد الله؟".

هل نرغب في أن نكون اليوم ذاك الذي رجع ليشكر يسوع لكل ما فعله لنا بدافع من حبه، ولنشكر الأب معه. حينئذ "السلام الذي يفوق كل معرفة" سيأتي ويملاً قلوبنا.

اللقاء الخامس

كلمة الله

المقدمة

نحن الآن في لقائنا الخامس.

اقتبسنا في اللقاءات السابقة عدّة آيات من الكتاب المقدس؛ لكننا اليوم سنخصّص هذا اللقاء لكلمة الله. يخبرنا الله في بداية سفر التكوين كيف خلق السماوات والأرض. وفي هذا الخير يُردّد ثماني مرات عبارة: (فقال الله) "وفي كل مرة يحقق العمل فوراً، فمثلاً: "ليكن النور" فيسطع النور حالاً. وهكذا كانت كل الخليقة إلى أن وصل إلى خلع الإنسان، ففي كلمات الكتاب المقدس الأولى نجد قوة الله الخالقة.

١) الكلمة صار بشراً

كما بدأ سفر التكوين، هكذا يبدأ يوحنا إنجيله بهذه الكلمات: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان لدى الله والكلمة هو الله. كان في البدء لدى الله. به كان كل شيء وبدونه ما كان شيء مما كان. فيه كانت الحياة... والكلمة صار بشراً فسكن بيننا فرأينا مجده (يوحنا ١: ١ - ١٤ + ٤). فعندما يخبرنا القديس يوحنا: "أن يسوع هو الكلمة، كلمة الله، يبدو لنا هذا الأمر مجرداً وغير واضح؛ لذا علينا أن نبحث، لنفهم ما معنى الكلمة. يقول لنا الكردينال رتسنغر (قداسة البابا، مبارك السادس عشر): "قد نتساءل: ما أهمية الكلمة؟ إن الأعمال وحدها هي التي تحتسب، فلكلام لا وزن له، لكننا عندما نفكر نرى أن الكلمة لها قدرة كبيرة على خلق العمل. كلمة واحدة تستطيع أن تدمر حياة إنسان وتدنس اسمه بطريقة لا رجعة فيها.

وكلمة واحدة - أيضاً - تستطيع أن تغير حياة إنسان حيث لا قوة أخرى تستطيع أن تفعل ذلك". أنتم تدركون الفرق جيداً بين أن تقولوا لأولادكم عبارة: "لا نفع لك"، وقولكم لهم "أكمل عملك فإني على ثقة بك". فكل منا له تأثير سلبي أو إيجابي، ونحن نتفق على أن لكل كلمة تأثيرها.

فإذا كان لكلمة الإنسان مثل هذا التأثير، فكم بالحرى كلمة الله؟ لدى الله، كما هو لدى الإنسان، تخرج الكلمة من أعماق القلب.

يذكرنا القديس يوحنا أن "الله محبة"، ومعنى ذلك أن كل كلمة تخرج من فم الله تنبع من المحبة. وهذه الكلمة هي يسوع نفسه الذي "تجسد بقوة الروح القدس ومن مريم العذراء" كما نقول في "نؤمن": الكلمة صار جسداً؛ الله قد تكلم والكنيسة أوصلت لنا هذا الكلام. فنحن، وبكل أمانة، نستطيع أن نعرفه جيداً.

٢) نحن جياع لكلمة الله

قبل أن نواصل تفكيرنا في الكلمة علينا أن نعرف "أن الله" غرس في قلب الإنسان "جوعاً" لسماع كلمته، ولن يسد هذا الجوع إلا الاتحاد الكامل به" (MND 19). حتى لو أننا لم نشعر بمثل هذا الجوع، فإن قلبنا جائع لكلمة الله.

نحن نعيش في بلاد تتوفر لنا فيها إمكانية سماع كلمة الله، لكن كم من الأماكن في هذا العالم لا يتاح لأهلها مثل هذه الفرصة؟

كتب النبي عاموس: "ها إنها ستأتي أيام يقول السيد الرب أرسل فيها الجوع على الأرض، لا الجوع إلى الخبز ولا العطش إلى الماء، بل إلى استماع كلمة الرب، فيمضون مترنحين من بحر إلى بحر ومن الشمال إلى المشرق، ويطوفون في طلب كلمة الرب فلا يجدونها. (عاموس ٨: ١١، ١٢).

ألم نرد ذلك اليوم وهؤلاء الملايين من الشباب الذين يقطعون المسافات الشاسعة ليستمعوا إلى قداسة البابا في لقاءاتهم معه؟ ألم يثبت ذلك أنهم جياع إلى كلمة الله؟

٣) الكلمة والإفخارستيا

يعرف يسوع مدى جوعنا إلى كلمته. وفي الإفخارستيا، تصبح الكلمة طعاماً، فهو سيثبنا من كلمته ومن جسده.

قبل كلام التقديس، يصلي الكاهن قائلاً: "أيها الأب العطوف قديس التقادم بقوة الروح القدس"، ثم يكرر كلمات يسوع: "هذا هو جسدي، هذا هو دمي". وفي هذه اللحظة يتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه. فهذه كلمات يسوع وفعل روحه القدس.

في الرسالة "ابق معنا يا رب"، عندما تحدث يوحنا بولس الثاني عن تلميذي عمواس قال: "تجدرنا الملاحظة إلى أن سماع كلمة الله هيأ تلميذي عمواس لمعرفة المسيح على المائدة عندما كسر الخبز. فعندما تكون القلوب مضطربة، تتكلم "العلامات الخارجية" (MND 14). هكذا هي هيكلية القداس.

نبدأ القداس الإلهي – في العادة – بالكلمة؛ لنهيه العقول وننعش القلوب، ثم تتبعها الإفخارستيا التي تعطينا طعام الخبز الإلهي.

ويضيف قداسة البابا قائلًا "في الوثيقة المجمعية عن الليتورجيا المقدسة، أراد الأساقفة أن تكون "مائدة كلام الله" مفتوحة للمؤمنين؛ لذا طلبوا أن تُقرأ كلمة الله بلغة يفهمها الشعب، فعندما نقرأ الكتاب المقدس في الكنيسة، نسمع صوت المسيح نفسه يتكلم" (MND 13).

٤) نرحب بالكلمة

"هذا هو المسيح الذي يتكلم". فلو كنا أكثر وعياً، لانتبهنا أكثر عندما يُقرأ الكتاب المقدس في القداوس. لنتذكر كلام القديس يوحنا الرسول "جاء إلى بيته فما قبله أهل بيته" (يوحنا: ١١). وفي رسالة أخرى يقول البابا يوحنا بولس الثاني: "إنه من الضروري أن يسبح السماع إلى كلمة الله لقاءً حياً (NMI 39)، هذا اللقاء الحي لا يسبح حقيقة إلا إذا سمعنا القراءات كأنها نابعة من الله نفسه.

يقول لنا المجمع المسكوني: "في الكتب المقدسة، يتقدم اللآب بمحبة نحو أبنائه ويدخل معهم في حوار". وهذا ما وعدنا به يسوع نفسه قائلًا: "إذا أحبني أحد حفظ كلامي، فأحبه أبي، ونأتي إليه فنجعل لنا عنده مقاماً (يوحنا: ٢٣).

في مثل الزارع يقول لنا يسوع: إن الزرع يتطلب أرضاً خصبة وإلا سيذهب العمل سدى، العصافير تأكله والشوك يخنقه؛ لكن: "الذي وقع على الأرض الطيبة فأثمر" (متى ١٣ : ٨). فما هي هذه الأرض الطيبة؟ أجمل مثل لنا هنا هو العذراء مريم أم يسوع، فلننظر إلى كلمات البشارة كما نراها في إنجيل لوقا. عندما ظهر لها الملاك بشرها بأنها ستصبح أمّاً للمسيح، سألت نفسها عن معنى هذا السلام، ثم أصغت إلى كلام الملاك الذي كان يفسر لها هذا المعنى.

بعد الاضطراب تمكنت أن تضبط أعصابها وتصغي؛ لأنها تأكدت من أن الملاك سيفهمها سبب سلامه.

ونحن أيضاً إذا توقعنا أن الله سيخاطبنا فعلياً أن نصغي لسلامه. فكرت مريم وحاولت أن تفهم ما يقوله الملاك، ثم سألت: "كيف يكون هذا؟". وعندما أفهمها الملاك أن الروح القدس سينزل عليها، أجابت: "أنا أمة الرب، فليكن لي بحسب قولك" (لوقا ١ : ٣ - ٨). قبلت مريم دعوة الله "والكلمة صار جسداً".

إذا أردنا أن نلخص هذه المسيرة فإننا نجد أنها كالآتي: خشوع مريم، استطلاعها، انتباهها لكلام الملاك، تأملها، ثم الانصياع إلى مشيئة الله بكل تواضع.

فليكن لي بحسب قولك مثل ما يريد الله، كما هو مكتوب في سفر أشعيا "كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إلى فارغة بل تتمم ما شئت وتنجح فيما أرسلتها له" (أشعيا ٥٥ : ١١). أما نحن فلا نتوقع أن يأتي ملاك ليحدثنا مثل مريم. لذا أين يمكننا أن نستمتع إلى نداء الله الذي سيغير حياتنا.

٤ - ١) في الإفخارستيا

قبل أن نستمتع إلى قراءات القداوس، دعونا نطلب إلى الروح القدس وإلى مريم العذراء أن نكون خاشعين وفيينا الاشتياق لسماع الكلمة. فلنفتح أذهاننا وقلوبنا. أما إذا كنا لا نستطيع أن نتناول في هذا اليوم، فلنشكر الله على كلمته لنا، ولنرسم إشارة الصليب على فمنا لدى سماعنا الإنجيل المقدس.

٤ - ٢) في المزامير

يمكننا أن نكرر المزامير التي نستمع إليها في القداس ونرتلها في البيت، خاصة عندما تتوافق مع مشكلات حياتنا، فهي تساعدنا على الصلاة وطلب المساعدة من الله أو القيام بشكره.

٤ - ٣) من خلال قراءتنا للكتاب المقدس

توجد طرق عديدة لقراءة الكتاب المقدس، منها دراسته وتحليله تاريخياً... لا شك في أن هذه الدراسة شيقة ومفيدة. ومنها قراءة الكلمة رغبة في أن يكون

لنا لقاء حيّ مع الأشخاص، كما حدثنا البابا يوحنا بولس الثاني. ويمكننا أيضاً عندما نقرأ هذه الكلمات أن نضع أنفسنا وكأننا في لقاء مع يسوع وبيه، هذا ما يقوله لنا المجمع الفاتيكاني الثاني: "في الكتاب المقدس، يتقدم الأب بكل محبة ليلتقي بأبنائه ويتكلم معهم" (Verbum Dei § 21). فيمكننا أن نقرأ مقاطع من الكتاب المقدس بكل تمعن ومحبة وندع هذه الكلمة تغير حياتنا.

٥) كيف نحافظ على هذه الكلمة؟

- عندما نصلي، يمكننا أن نردد مراراً بعض الأقوال التي أثرت فينا، كما كانت تريزا الصغيرة تقول: "أردد لنفسني الكلمات التي حرقت قلبي".

وبعد الصلاة يمكننا أن نردها في النهار خاصة قبل النوم؛ لأننا عندما ننام ونحن نردد هذه الكلمات فكأننا ننام ويسوع موجود بقربنا.

- بإمكاننا أيضاً أن نحفظ بعض الجمل عن ظهر قلب، وهكذا نخبر وجود الله فينا. "روت" فتاة مريضة بالسرطان، وعندما كانت طريحة الفراش في المستشفى كانت المزامير ترجع إلى ذاكرتها وتساعدنا على تحمل الألم. وكأنها حين لم تمتلك القدرة على الصلاة، كانت هذه المزامير تصلي بدلاً منها، كما كانت تقول.

- نستطيع أن نفهم أشياء لم نكن ننتبه إليها عند السماع فقط. وهذه المفكرة ستساعدنا - مع مرور الزمن - على أن ندرك كيف أن الله يسيرنا من خلال كلمته، وكأنها أصبحت "كتابنا المقدس".

- كما يمكننا كتابتها على ورقة وإلصاقها في مكان ما نستطيع رؤيتها فيه دائماً، مثل: مرآة الحمام، قرب الهاتف، في السيارة، على الهاتف الخليوي... إلخ جميع هذه الطرق البسيطة ستساعدنا على العيش مع يسوع، كما ذكرنا في الماضي.

٦) إن الكلمة حيّة وفعّالة

يذكرنا النبي أشعيا أن: "كلمتي التي تخرج من فمي لا تفرغ بل تتمم ما شئت وتنجح فيما أرسلتها له" (أشعيا ٥٥ : ١١). ويقول: "أنا الرب، قلت وفعلت" (حزقيال ١٧ : ٢٤).

فالكلمة والفعل هي هي عند الله. أما آباء المجمع المسكوني فيقولون: "قوة كلمة الله هائلة، فهي التي تعطي قوتها للكنيسة، أما الشعب فتعطيه الإيمان والقوة والقوت السماوي ونبعاً لا يفني ليسد عطشه الروحي" (Verbum Dei § 21).

يؤكد لنا يوحنا بولس الثاني هذا المصدر الروحي في تعليقه على تلميذي عمواس عندما كان يسوع يفسر لهما أقوال الكتب "كان قلبهما متقدماً في داخلهما" ... واستطاع نور الكلمة أن يلين قساوة القلب، فانفتح قلبهما وانفتحت أعينهما... كان المسافر قبس نور أحيا فيهما الرجاء والرغبة في النور الكامل" (MND 1). دعونا نتأمل هذه النقاط بالتفصيل:

٦ - ١) الكلمة توجب الشوق العميق لله

حين تلمس قلبنا كلمة ما عن محبة الله لنا، يتوجب علينا أن نكررها مراراً، مثال ذلك: "الرب رؤوف رحيم، طويل الأناة وكثير الرحمة" (مزمور ١٠٣: ٨). أو "الله محبة" (١ يو ٤: ٩). أو "أكون أفرائيم ابناً لي عزيزاً، ولذا أتنعم به؟ فإني كلما تحدثت عنه لا أنفك أذكره، اهتزت أحشائي، سأرحمه رحمة، يقول الرب" (أرميا ٣١: ٢٠).

٦ - ٢) تذيب قساوة القلوب

تفعل فينا الكلمة وتشفيها كما يقول كتاب الحكمة: "وما شفاهم لا نبت ولا مرهم بل كلمتك يا رب فهي تشفي جميع الناس" (الحكمة ١٦: ١٢).

وهذا ما نقوله في القداس قبل المناولة: "يا رب لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي، لكن قل كلمة واحدة فتبرأ نفسي". هذه الكلمات قالها قائد المائة وشفى غلامه. كلمات يسوع الشافية قالها حتى وهو على الصليب للمجرم الذي كان مصلوباً بقربه وكأنه يقول لنا "محبتتي الكبيرة لك، هي أن أموت من أجلك على الصليب". يكون قلبنا قاسياً أحياناً؛ لأننا جرحنا وقسينا قلوبنا لنحتمي. أما القديس بولس فيقول لنا: "إن الكلمة حيّة وتدخل في أعماق القلب".

فالكلمة تستطيع أن تصل إلى هذه المخابئ حيث تكمن جراحاتنا وحققنا وخطايانا التي أصبحت عادة متأصلة فينا. علينا ألا نخاف لأن الكلمة هي يسوع نفسه، وهو لم يأت كدخيل همّه أن يؤلمنا أكثر فأكثر، بل كصديق جاء ليشفينا ويحررنا.

ممكّن أن يكون بعض الكلام مسموماً ويكون قد جرحنا في أعماق قلوبنا، لكن المرهم الوحيد الذي يستطيع أن يشفيها هو كلمة الله. لذا عندما نصلي أو قبل أن نقدم على النوم فلنكرر هذه الكلمات التي لمست قلبنا والتي ستبنيها من جديد لأنها هي وحدها الحقيقة: "قد صرت كريماً في عيني ومجيداً فإني أحبك... لا تخف فإني معك" (أشعيا ٤٣: ٤ و ٥). فإن قيل إنه لا قيمة لنا فلنردد بقلوبنا: "أنت كريم في عيني". وإن كان الخوف يحيط بنا فنقول: "لا تخف فإني معك". ألا تجدون قوة لهذه الكلمات؟! أليست هذه الكلمات مثل التمارين النفسية التي تقنع بها أنفسنا.

كلمة الكتاب المقدس ليست مجرد أقوال عادية، إنها هي يسوع المسيح نفسه الذي يأتي بروحه ليشفى جراحاتنا وأفكارنا المعوجة وذكرياتنا القاسية التي شوهدت صورتنا، هذه الكلمة ترجعنا على صورته ومثاله.

٦ - ٣) الكلمة، تجدد فينا الأمل

لقد رأينا كيف كان تلميذاً عمواس مخذولين ولا أمل عندهما، إلى أن أتى يسوع وفسر لهما النبوءات. وحتى قبل أن يعرفاه كان فليهما متقدماً في صدرهما حين كان يسوع يفسر لهما الكتب.

فعندما نكون مخذولين، أو أننا لا نرى الأشياء بوضوح، تكون حينها الكلمة مساعدة لنا. فعلى سبيل المثال طلب الله من أرميا النبي أن يقول لشعبه: "لأنني أعلم أن أفكارني التي أفكرها في شأنكم هي أفكار سلام لا بلوى، لأمنحكم بقاءً ورجاءً (أرميا ٢٩ : ١١).

هناك صبيّة في الرابعة عشرة من عمرها كان عندها صعوبة كبيرة في التعلم، وهذا كان يشكل لها خوفاً كبيراً على مستقبلها. ففي يوم من الأيام، ألهمت أمها وتلت أمامها كلمات أرميا النبي التي سمعناها، فطلبت البنت من أمها أن تكتب لها هذه الكلمات على ورقة صغيرة لكي تردها في المدرسة في الخفية. بعد مدة وجيزة أصبح لهذه الصبية بعض الصديقات، وأخذت علاماتها ترتفع بشكل ملموس. لم تعمل الكلمة فيها بطريقة سحرية، لكن يسوع والروح القدس ألهمها وأرجعا لها ثقتهما بنفسها.

فهذه الكلمة شفت تلك الصبية من ناحيتين في آنٍ واحد؛ ذلك أن الأم نفسها اكتشفت أنه لم يكن لها أمل كبير بابنتها عندما كتبت لها هذه الكلمات، لكن بعد هذا العمل تحققت من أنها وابنتها هما بين يدي الله، وكان لدى الله مخطط سعادة لهما، حتى لو كان يشاكل هذا

المخطط أوقات صعبة كان عليهما أن يجتازاها. وهذه الثقة بالله لم تتركها مدى حياتها.

فالكلمة - في الحقيقة - هي سلاح في المعركة الروحية ضد قوى الشر التي تحاول أن تبعدنا عن النور والأمل والمحبة. لتتذكر كيف حارب يسوع تجارب الشيطان على جبل التجربة (القرنطل)، فكان يسوع يجيب الشيطان عن كل تجربة بكلمة من الكتاب المقدس يفحمه فيها تماماً.

٦ - ٤) الكلمة تفتح القلب وتنيره

تلقت الكلمة نظرنا - أحياناً - إلى بعض التعقيدات الموجودة فينا.

أو أن الروح القدس ينير عقولنا على مسامحات قمننا بها لم تكن كاملة، أو على صور الله تشكلت في نفوسنا لم تكن صحيحة. فالكلمة هي الحقيقة، والحقيقة هي التي تجعلنا أحراراً.

فبإمكان نور الله أن ينيرنا في كل حين من خلال الكلمة: في القداس، وقت الصلاة، حتى في وقت العمل.

هناك طريقة نستطيع بواسطتها الوصول إلى الكلمة، علمتنا إياها القديسة تريزا الأفلية والقديس أنياس مؤسس الآباء اليسوعيين، تتلخص في أن نقوم باختيار مقطع من الكتاب المقدس ونقرأه كاملاً أولاً، ثم نتصور بمخيلتنا: الموقع والأشخاص وحركاتهم وأقوالهم. بعد ذلك نتصور أننا بينهم ونستمع إلى كلماتهم،

وبالأخص كلمات يسوع، ونجعل هذه الكلمات تتكرر في ذهننا، ثم ندرسها بذكائنا وقلوبنا ومشاعرنا. هذا يجعلنا نكتشف حقائق عميقة عن أنفسنا كانت قد غابت عن معرفتنا.

سنأخذ من غسل الأرجل مثلاً لنوضح هذا التأمل: ففيه نستطيع أن نحلّ مكان يوحنا أو بطرس أو حتى يسوع نفسه. فلنجعل من أنفسنا مكان بطرس في هذه المرة

ونتصور يسوع راكعاً أمامنا. لتتصور كل التفاصيل؛ أعني أننا سنخلع نعلينا ونقبل أن يضع يسوع أقدامنا في الوعاء ليغسلها. فكيف يكون تصرفنا وردّ فعلنا؟ هل سندمج له بغسل أرجلنا؟ أم أننا نرى أنه من الصعب علينا القبول بذلك أو حتى أنه لا يليق به فعل ذلك بنا. هل رد فعلنا يشابه رد فعل بطرس الذي لم يقبل من يسوع أن يغسل قدميه؟ ما هو شعوري؟ هل هو الخجل من الخطيئة، أم قلة الاحترام؟ تعذر علينا أن نقبل ذلك بكل تواضع. لكن عندما نرى يسوع راكعاً أمامنا، متأمليين نظرتة المليئة بالمحبة لنا، ثم نعود إلى هذا التأمل بعد أسبوع أو شهر أو سنة، ونسترجع هذا التصور؛ سنى أن يسوع يجعلنا أليفين وسيشفيينا من مرضنا هذا بمحبته لنا. وسيأتي يوم، حتى ولو بعد حين، فنقول ليسوع كما قال بطرس له: "نعم يا سيدي، اغسلني، نعم يا يسوع، أحببني، فإني لا أملك البتة! إني قابل لأن تحبني، وسأقبل رحمتك الواسعة".

هكذا نستطيع أن نتصور مواقف كثيرة: مثل "تكثير الخبز"، فكيف يكون تصرفنا أمام هذا الحدث؟ لو كنا مكان ذلك الشاب، هل سنقبل أن نعطي كل الخبز والسمك الذي كان عندنا؟ أو مثل مريم المجدلية يوم القيامة أمام قبر المسيح" أو "بطرس ماشياً على الماء..."

٧) كيف نجعل هذه الكلمة عاملة فينا؟

لكن الكلمة لا تكتفي بهذا، فكتاب تثنية الاشارة يقول: "إن الكلمة قريبة منك جداً، وفي قلبك لتعمل بها" (تثنية الاشارة ٣٠ : ١٤). والقديس يعقوب يثني قائلاً: "كونوا ممن يعملون بهذه الكلمة، لا ممن يكتفون بسماها فيخدعون أنفسهم" (يعقوب ١ : ٢٢).

في الحقيقة لا يكفي أن تؤثر فينا الكلمة وتثيرنا، فإذا أردنا أن نثمر، علينا أن نعمل بها. فمثلاً إذا تأثرت بكلمة تتحدث عن المسامحة، عليّ أن أبحث، بمساعدة الروح القدس، عمّن سأقوم بمسامحته. وبقوة الروح القدس سأحصل على الدافعية بالمسامحة، وأطلب من يسوع أن يعطيني القوة لأسامح من كل قلبي. أو إذا شدتني الكلمة إلى الكرم أو التبشير أو الشجاعة، ففي كل مرة سأحاول أن أحصل على الدافعية الضرورية حيثما تدلني الكلمة. فيسوع الكلمة، يتجسد فيّ عندما أعمل بحسب أقواله.

٨) بعض النصائح للسجود

كما في مرة، سنبدأ بوضع أنفسنا في حضرة الله، بأن ننظر إليه ونتكلم معه بكل محبة. ثم سنقرأ بعض المقاطع من الكتاب المقدس. يمكنكم أن تختاروا آية تعجبكم وتقوموا بتكرارها عدّة مرات بكل هدوء، ثم تواصلوا الهدوء والسكوت التام لتسري هذه الكلمات في أعماقكم. لنكرر هذا العمل ونحن ناظرون إلى القربان الأقدس.

فإذا اخترنا غسل الأرجل، نقول في قرارة أنفسنا: إن يسوع الموجود أمامنا هو نفسه الراكع عند أرجلنا، ويطلب منا أن نقبل منه أن يغسل أقدامنا وهو يقول لبنا: "أتريد مني أن أحبك؟".
لدينا يسوع في القربان الأقدس، ولدينا الكلمات التي في قلبنا. فلنطلب من الروح القدس أن تدخل هذه الكلمات إلى عقلنا وقلبنا وروحنا. فيسوع يعمل فينا خلال حضوره في القربان الأقدس ومن خلال كلمته.
فإذا حافظنا على كلامه، سيحافظ هو على وعده: "إذا أحبني أحد، حفظ كلامي؛ فأحبه أبي ونأتي إليه ونجعل عنده مقاماً" (يوحنا ١٤: ٢٣).

اللقاء السادس

محبة الأب

مقدمة

وصلنا في مسيرة سجدونا للقربان المقدس إلى الشهر الخامس، وتعمقنا أكثر في علاقتنا مع يسوع. إلا تلاحظون أننا اخترنا في كل مرة جانباً من جوانب محبته لنا؟!
كان محور تأملنا في المرة الأخيرة هو الشكر لكل ما فعله الله لنا؛ لأنه يحبنا. ونحن بدورنا نسعى لأن ندخل في جو من الشكر والتمجيد لله الخالق.
كما حدث مع برتماوس، فعندما نطلب شيئاً من الله، يكون المهم في الأمر هو تلك العلاقة الشخصية القائمة بيننا.

وقد اكتشفنا أن يسوع يهتم – في الحقيقة – بطلبنا، ويريد منا أن نتقدم إليه دائماً بكل ثقة.
وقد فتحنا قلبنا ليسوع مع مرثا ومريم، وتعلمنا الصمت للاستماع إلى صوته، والتمعن بنظره المُحب لنا.
أما لقاءنا الأول فكان مركزاً على الإفخارستيا، هذا الكنز الذي أوجدته محبة الله الفائقة لنا؛ ليبقى دائماً معنا وبصورة محسوسة نابعاً من محبة الله الكبيرة لنا.

١) الإفخارستيا ذبيحة

تركز تفكيرنا في اللقاء الأول على الحضور الإلهي في الإفخارستيا. وقد تطرقنا إلى وجهة نظر ثنائية للإفخارستيا ألا وهي الذبيحة. تتجدد ذبيحة يسوع في كل مرة تحتفل الكنيسة فيها بليتورجية القداس، لذا بات من الضروري أن نتعرف على سر ذبيحة يسوع.

في رسالة البابا يوحنا بولس الثاني إشارة إلى أن المسيح فدانا، يقول: "نحن هنا أمام سر الإيمان الذي يتحقق في سر الإفخارستيا، فالعالم الذي خرج من يد الأب يعود إليه بعد أن افتداه يسوع المسيح" (EE § 8).

المهم في الأمر هو أننا افتدينا، ثم – كما يقول قداسة البابا – أن هذا الفداء كان نتيجة ذبيحة؛ "فلم يكتفِ المسيح بقوله: "هذا هو جسدي، هذا هو دمي"، بل أضاف عبارة: "الذي يُبذل من أجلكم... ومن أجل الكثيرين".

كما لم يكتفِ بقوله للرسول إنه يعطيهم جسده ودمه مأكلاً ومشرباً، بل أشار أيضاً إلى ما بعد "الذبيحة" في هذه الهبة، مشيراً بذلك إلى ما سيحدث بعدئذٍ ببضع ساعات" (EE § 12).

وأخيراً، أشار قداسة البابا إلى أن ذبيحة يسوع أعطتنا المصالحة، وبهذا يمكن للإفخارستيا أن توصل المصالحة التي استحقها يسوع المسيح مرة واحدة إلى جميع البشر. وبالفعل، فإن "ذبيحة المسيح وذبيحة الإفخارستيا هما ذبيحة واحدة" (EE § 12).

مما سبق نستنتج ما يأتي:

أ – أن المسيح افتدانا بنفسه.

ب – أنه افتدانا بذبيحته على الصليب.

ج – عندما افتدانا أعاد إلينا علاقتنا مع الله.

هذا هو سر الرحمة الذي سنتأمله ونسجد له كما يعلمنا قداسة البابا: "أريد، يا أخوتي، أن أعيد أمامكم هذه الحقيقة عن سر القربان، السر العظيم، سر الرحمة. ماذا كان بإمكان المسيح أن يعطينا أكثر من ذلك؟ فهو في الإفخارستيا يبرهن على أنه أحبنا "إلى أقصى الحدود" (EE § 11) "لذا تنظر الكنيسة باستمرار إلى يسوع المسيح المتواجد في القربان حيث يظهر ملء محبته"

(EE § 1)، لكي نفهم بطريقة أعمق لماذا كان فداؤنا ذا أهمية فائقة، ولماذا اختار الله أن يتم هذا الفداء من خلال الذبيحة. علينا – إذن – أن نعود إلى البداية.

٢) يسوع يصالحنا مع الأب

٢ – ١) الخطيئة الأصلية

دعونا نتذكر كيف ابتدأ كل شيء. خلقنا الله ذكراً وأنثى على صورته ومثاله، وخلقنا أحراراً كل نتبادل الحب معه. وكان الله مسروراً بصحبة الإنسان كما كان الإنسان مسروراً بصحبة الله له بكل ثقة. أعطى الله كل شيء للإنسان ما عدا "شجرة معرفة الخير والشر". وعندما سأل الشيطان حواء: "أيقيناً قال الله: لا تأكلا من جميع أشجار الجنة؟". فقالت المرأة للحية: "من ثمر أشجار الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة قال الله: لا تأكلا منها ولا تمساها كيلا تموتا". حينها خرج صوت شبيه بصوت نشاب مسمم في قلب الإنسان "موتاً لا تموتا، فالله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كألهة تعرفان الخير والشر" (تكوين ٣: ١ – ٥).

هذه الكلمات التي نطقها الحية والتي نعرفها جيداً لدرجة لا ننتبه معها إليها، هي كلمات مخيفة جداً. هذا الإله الذي عرفنا إليه يسوع كأبٍ عطوف ومحب، الأب الذي خلقنا لأنه أحبنا وأراد أن يعطينا كل شيء،

غَيَّرته هذه الحيّة إلى إله كذاب وغيور على حقوقه. أدخل هذا الكلام الشك في قلب الإنسان وعدم ثقته بالله.

ثم يتابع كتاب التكوين قصته قائلاً: "ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للأكل ومنتعة للعيون، وأن الشجرة منية للتعقل. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت زوجها الذي معها فأكل ... فسمعا وقع خطي الرب الإله وهو يتمشى في الجنة عند نسيم النهار، فاختبأ الإنسان وامرأته من وجه الرب... فنادى الربُ الإلهُ الإنسان وسأله: "أين أنت؟" فأجاب: "إني سمعت وقع خطاك في الجنة فخفت لأني عريان فاختبأت" (تكوين ٣: ٦ - ١١).

في هذه الأسطر الوجيزة، ساق الكتاب المقدس المأساة التي عاشها الإنسان مع الله إلى أفهامنا". فشجرة الخير والشتر تمثل الحدود التي يجب على الإنسان ألا يتجاوزها لكونه إنساناً؛ إذ عليه أن يتقبل هذه الحدود بكل حرية، وأن يعتمد على الله بكل ثقة ... وبتجربة الشيطان أمات الإنسان في قلبه ثقته بخالقه وتجاوز حريته بعصيانه لوصية الله. وبالتالي فإن كل خطيئة هي معصية لله وعدم ثقة لمحبهته لنا.

عندما فضل الإنسان نفسه على الله، احتقر الإنسان ربه واحتقر محبته له (396-398 CEC). وها نحن نرى النتائج المأساوية لهذا العصيان، فعندما دخل هذا الرمح المسموم في قلب الإنسان تغيرت صورة الله له، فمن كونه إلهاً محبباً جعل منه إلهاً غيرواً على امتيازاته، حتى أصبح إلهاً يبعث الخوف فينا. وهذه الخطيئة أصبحت خطيئة الجنس البشري، لا بل أن نظرتنا الخاطئة لله أصبحت تشكك وتُخيف من الله. فغذا الله الشخص الشرير الذي يقتصّ لنفسه ويحاكم، والذي يبعث الويلات على العالم لينتقم من الإنسان.

بمثل هذه الصورة الشنيعة لله، نستطيع أن نفهم خوف الإنسان المخفي بداخلنا، الخوف من المستقبل الذي يزداد شيئاً فشيئاً في الحالة الإقتصادية المتردية، وفي الويلات الطبيعية المخيفة والحروب الدامية ... عندما يرى الإنسان الله بهذه الصورة يصبح وكأنه يتيم ووحيد.

لكن قبل أن نتكلم عن محبة الله الفائقة لنا، علينا أن نشعر بهذه الحقيقة المُرّة: إن الله غير مقبول من الأشخاص الذين خلقهم بدافع من محبته؛ فهو الذي أراد أن يعطينا كل شيء، يرى أولاده الذين لا يبادرونه الثقة يزدرون محبته ولا يقبلونها.

[وقت صمت وتأمل] لكنه بدلاً من أن يترك الإنسان نهائياً، سيجتهد لأن يشفي هذا الإنسان ويريه صورة أخرى له ويرجعه إليه.

فمنذ ذلك الوقت لم ينفك الله يتابعنا برحمته مثلما قال يسوع في ظهوراته للقديسة (فاوستينا): "إني ألاحق الخطاة بمحبتتي على كل الطرق التي يسلكونها".

٢ - ٢) يُري الله محبته إلى الشعب الذي اختاره

إن الله اختار شعبنا واختار إبراهيم، وجعل منه أباً لشعوب كثيرة. وعندما أصبح هذا الشعب عبداً للمصريين قال الله لموسى: "إني قد رأيت مذلة شعبي الذي بمصر، وسمعت صراخه بسبب سخريته، وعلمت بالآلامه ... أرسلك إلى فرعون. أخرج شعبي بني إسرائيل من مصر" (خروج ٣: ٧ - ١٠). تبين لنا هذه الكلمات إلهاً يرى تعاسة شعبه ويسمع صوته ويعرف مذلته، فهو إله قريب من البشر ويرأف به. مع أنه عند خلاصه لم ينفك

هذا الشعب يخون ربه مراراً عديدة. لكن في كل مرة سامحه الله؛ لأنه أمين على كلمته، فكان يرسل إليهم الأنبياء ليذكروهم بأنه: "إله رحيم، رؤوف، طويل الأناة، وافر الحق والرحمة" (مزمور ٨٦: ١٥). أو يشبهه محبته بمحبة الأم، قالت صهيون: "تركني الرب

ونسني سيدي، أتسنى المرأة رضيها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى لو نسيت النساء فأنا لا أنساك. هاءنذا على كفي نقشتك" (أشعيا ٤٩: ١٤ - ١٦).

إن الله الذي يعرف قلب الإنسان معرفة صحيحة يعرف أنه منذ انفصاله عنه يعيش الإنسان بالخوف والرعدة، ولا ينفك الرب يطمئنه من خلال الأنبياء ويقول له: "لا تخف... لأنني أنا إلهك آخذ بيمينك، قائلاً لك: لا تخف فأنا أنصرك" ... وفاديك هو قدوس إسرائيل" (أشعيا ٤١: ١٣ - ١٤).

٢ - ٣ - ١) يسوع المخلص

يعني اسم يسوع "الله مخلص"، وبواسطته يبرهن الثالث الأقدس للبشر بطريقة لا تقبل التأويل محبة الله لهم. يسوع الذي هو "إله حق مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر"، كما نقول في نؤمن، يسوع الابن الوحيد للآب سيصبح إنساناً ليثبت محبة الآب لنا. فكما أن الإنسان جعل من الله، "إلهاً غيراً على مصالحة"، فقد أرجع يسوع الآب إلى حقيقته كما يقول لنا القديس بولس: "فمع أنه في صورة الله لم يعد مساواته لله غنيمة بل تجرد من ذاته، فاتخذ صورة العبد وصار على مثال البشر، وظهر بهيئة إنسان فوضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب" (فليبي ٢: ٦ - ٨).

هكذا يثار الله، هذا التآثر تكلم عنه أشعيا قائلاً: "قووا الأيدي المسترخية وشددوا الركب الواهنة. قولوا لفزعي القلوب تقووا ولا تخافوا هوذا إلهكم، النعمة آتية، هذه مكافأة الله، هو يأتي فيخلصكم" (أشعيا ٣٥: ٣ و ٤). ما هذا الثأر المذهل؟ بدلاً من أن يحطم الله الإنسان ليقتص منه بسبب خداعه، ها هو يسوع "الوضع والمتواضع القلب" يحطم ذاته ليخلص الإنسان الذي خانته. فبدلاً من أن يسفك دم الإنسان، يسفك دمه: "هذا هو دمي المهرق لكم لمغفرة الخطايا".

٢ - ٣ - ٢) يسوع ولس اليمين

لكي نفهم هذا الحب الذي يهب نفسه للآخرين، لكل إنسان، دعونا نعود إلى آخر اللحظات من حياة يسوع. يقول لنا القديس لوقا في إنجيله: إن يسوع كان معلقاً على الصليب بين مجرمين، وأخذ أحد المجرمين المعلقين على الصليب بشتمه ويقول: "ألسنت المسيح؟ فخلص نفسك وخلصنا؟". فانتهره الآخر وقال: أما تخاف الله وأنت تعاني العقاب نفسه؟ أما نحن فعقابنا عدل، لأننا نلقي ما تستوجب أعمالنا. أما هو فلم يعمل سوءاً". اذكرني يا يسوع إذا ما جئت في ملكوتك". فقال له: "الحق الحق أقول لك: ستكون اليوم معي في الفردوس" (لوقا ٢٣: ٣٩ - ٤٣).

أحد المجرمين لا يعترف بخطيئته، فهو تعس، ثائر، وفي ثورته يلقي الملامة على البرئ. أما الثاني، فمع أنه مجرم مثل الآخر، إلا أنه يعترف بخطيئته من جهة، وببراءة يسوع من جهة أخرى. فبراءة يسوع حثته على أن يعترف بخطئه: "هو لم يعمل سوءاً: اعترافه هذا أرجع له شرفه، فأحس بالقوة ليدافع عن يسوع. إضافة إلى ذلك، هذا الاعتراف جعل المجرم يعترف بألوهية يسوع مع انه لم ير إلا إنساناً مشوهاً على شفير الموت، وهذا مما جعله يتحدث مع زميله بجراءة: "أو ما تخاف الله وأنت تعاني العقاب نفسه؟". ويزداد دهشة عندما رأى الله هو الذي يسمح للبشر بأن يصلبوه. هذا الشعور بالعجب يفتح قلبه ليفهم محبة الله الحقة. إن رؤية هذا الملك المصلوب أدخلت الرجاء في قلبه وتجاسر على أن يعلن إيمانه برحمة الله له. لقد سمع يسوع يقول: "يا أبت اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ما يفعلون" (لوقا ٢٣ : ٣٤). فقال: "اذكرني يا يسوع إذا ما جئت في ملكوتك". فهو لم يجرؤ على أن يقول له "اغفري لي" بل "اذكرني"، لكن يسوع فهم أنه نادم وأجابته في الحال: "ستكون اليوم معي في الفردوس".

طلب المجرم من يسوع أن يذكره، لكن يسوع أعطاه أكثر بكثير من هذا، سامحه أولاً، ثم وعده أن يكون معه في السماء في ذلك اليوم. ما هذه الطمأنينة؟! وما هذه الفرحة في قلب يسوع؟! فهو عندما كان يعاني من أشد الآلام والرفض من الجميع، اعترف به ذلك المجرم؛ لأنه فهم محبة الله الرحيمة.

لعلنا نفهم الآن، وبطريقة فضلى، لماذا كان على محبة الله الرحيمة أن تمر بذبيحة الصليب: "إن يسوع المصلوب لا يرينا إلهاً عطشاً لآلام ابنه وموته، لكنه يرينا إلهاً يسمح لابنه بأن يغوص إلى آخر حدود المحبة، محبته للبشر. هذا الحب واجهه رفض ومقت ساقه إلى الصليب

(André Séve "Avec Jésus qu'est-ce que tu vois") فبموته على الصليب، أثبت لنا يسوع أن محبته للبشر لا تراجع عنها، فهي محبة إلى آخر الحدود، وإن أعظم المجرمين، حتى عند ساعة موتهم، يستطيعون أن يرجوا رحمته.

٢ - ٣ - ٣) الرحمة تسامح وتجدد

الرحمة تتجاوز السماح كما يقول البابا يوحنا بولس الثاني في رسالته الجامعة "إن الرحمة تتبلور عندما تتجدد، فترفع من شأن الشخص وتخلق الجيد تحت أشكاله من الأخطاء الموجودة في العالم وعند كل إنسان" (DM § 6). لم يكتفِ يسوع بأن سامح المجرم، لكنه برحمته جدد، وأصبح بذلك أول قديسٍ معلنٍ رسمياً.

سنتمعق أكثر بتأملنا في محبة الله الرحيم في اللقاءات القادمة التي نتحدث عن أبوة الله وقلب يسوع الأقدس، لكننا اليوم سننهي تأملنا مع لقاء يسوع الأول بتلاميذه بعد القيامة.

إن المجرم الذي سامحه يسوع لم يكن يعرفه من قبل، أما الرسل الإثنا عشر الذين كان يدعوهم أصحابه، واختارهم من بين ملايين الناس، والذين تعلموا معه ثلاث سنين وعاش معهم طيلة هذا الوقت، فهل يقوم يسوع بمسامحة خيانتهم؟

إننا نعلم أن من بين المنتخبين الاثني عشر كان يهوذا الذي سلمه، وبطرس الذي أنكره، وباقي الرسل الذين هربوا ولم يبقَ بقربه إلا يوحنا الحبيب. فعندما قالت لنا مريم المجدلية بأن يسوع قد قام من بين الأموات، فكيف كانت ردة فعلنا؟ ألم نتساءل عمّا فعلناه؟ ألم نشعر بالخوف بأن يسوع سيقوم بتأنيبنا ومعاقتنا؟ ألم نخجل على جنبنا ونكراننا له؟

دعونا نستمع إلى ما جرى كما ذكره يوحنا في إنجيله: "وفي مساء ذلك اليوم، يوم الأحد، كان التلاميذ في دار أغلقت أبوابها خوفاً من اليهود، فجاء يسوع، ووقف بينهم، وقال لهم: "السلام عليكم!" قال ذلك وأراهم يديه وجنبه، وفرح التلاميذ لمشاهدتهم الرب. فقال لهم ثانية: السلام عليكم: كما أرسلني الآب أرسلكم أنا أيضاً. قال هذا ونفخ فيهم وقال لهم: خذوا الروح القدس، من غفرتهم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتهم عليهم الغفران يمسك عليهم" (يوحنا ٢٠: ١٩ - ٢٣).

هل نقدر أن نتصور ردة فعل الرسل الذين تركوه وهربوا من الخوف عندما دخل عليهم يسوع؟ وفي هذا الصمت لا أحد يتكلم إلا يسوع وحده ويقول لهم "السلام عليكم". مثل المجرم المصلوب بقربه لا يبكتهم ولا يشتكي من تصرفاتهم. نستطيع نحن أن نتصور حياة الرسل.

يقول لنا الإنجيل إنهم فرحوا، لكن من المؤكد أن ضميرهم كان يؤنبهم لأنهم خانوا أعز صديق لهم مع انه خاطبهم بقوله "السلام عليكم".

لا بد أن الحياء كان يخالط هذا الفرح. لكن يسوع الذي يرى كل شيء لم يركز عليهم بل "أراهم يديه وجنبه". هذه الحركة لم تكن لترتهم أنه هو فقط، بل كانت لتقول لهم: "انظروا إلى إثبات محبتي لكم وافهموا إلى أي حد أحبكم". نلاحظ أن عبارة "فرحوا" تعبر عن فرحهم بأن يسوع قد قام من بين الأموات، وأنهم شعروا بأنه سامحهم، فهم المقربون له. سامح خيانتهم. لذلك قال لهم مرة ثانية "السلام عليكم" وهذا يعني أن السلام يمكن أن يملأ قلوبهم لأنه سامحهم بكل تأكيد. وهنا نرى كيف أن الرحمة تفوق المسامحة؛ لأنها تجدد وتخلق الخير من الشر. فلم يكتفِ يسوع بمسامحة الرسل، بل رفع من شأنهم ودعاهم إلى المشاركة في دعوته قائلاً: "كما أرسلني الآب أرسلكم أنا أيضاً".

هذه هي إحدى أعاجيب الرحمة حيث أصبح المجرم أول قديس. كما أنه جعل من الرسل الذين تركوه في أحلك الظروف رسلاً يقومون بتلمذة جميع الأمم. وقد شاركهم سلطته في محو الخطايا؛ ليثبت أن مغفرة الخطايا هي الركن الأساس لإعادة الشرف للإنسان وتحسين علاقته بالله. لهذا السبب نفخ فيهم الروح القدس؛ أي روحه، وأعطاهم السلطان على أن يغفروا الخطايا معه: "خذوا الروح القدس. من غفرتهم لهم خطاياهم تغفر لهم".

كان من الضروري أن يبتهج الرسل. "يغمرنا هذا الابتهاج عندما نشعر أننا في الحقيقة محبوبون من الأشخاص الذين أسأنا إليهم وأحسنا بالخلل أمامهم؛ لأننا رذلنا محبتهم، ونعرف أن الذين يسامحون من كل قلوبهم هم الأشخاص الذين كانت ضمائرهم حية، خاصة في بعض المواقف في الحياة؛ لأنهم أسأوا وسبوا ألاماً لمن حولهم، ثم تابوا أخيراً وشعروا بمسامحة الله لهم. هؤلاء هم الذين يسامحون الآخرين بكل سهولة" عن كتاب "النار والنور" (Feu et Lumière-Yves Boulvin).

٣) مساعدات عملية للسجود

وقت السجود، لن نركز على خطيئتنا بل على محبة الذي سيغفر لنا خطايانا. فمثلاً عندما يقترف طفل خطأ ما، يحاول أن يخفيه أو يوقع الآخرين فيه؛ لأنه يخاف من أبوية أو معلميه، فيختلق مئة حجة لكي يبرئ نفسه بدلاً من أن يعترف بخطئه وبطلب السماح.

يقول القديس يوحنا في رسالته الأولى: "لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تنفي عنها الخوف؛ لأن الخوف يعني العقاب، ومن يخف لم يكن كاملاً في المحبة، أنا نحن فإننا نحب؛ لأنه أحبنا قبل أن نحبه". (١ يو ٤: ١٨ - ١٩).

ندعوكم إذن للتأمل بمحبة الله الرحيمة في وقت السجود هذا، حتى يتلاشى كل خوف من قلبكم، فالتأمل في محبته يعطينا التوبة. نحن الذين كنا نهرب من الله، سنلتفت إليه وننظر إلى حبه لنا. هذه هي التوبة الحقيقية كما يقول البابا يوحنا بولس الثاني: "معرفة الله الرحيم حقاً، ومعرفة حبه العطوف هي قوة توبة كبيرة مثابرة ولا حد لها، ليس فقط كعمل داخلي مؤقت، لكن كاستعداد دائم، وحالة داخلية. إن الذين يستطيعون أن يعرفوا الله، لا يستطيعون إلا أن يرجعوا إليه دائماً. فالتوبة، وحالتها هذه، هي التركيب الأساس العميق لحج الإنسان على هذه الأرض" (DM § 13).

قالت القديسة تريزا الطفل يسوع قبل مماتها: إني أشعر، ولو كنت محملة بكل الخطايا التي يمكن أن تقترف في العالم، بأني ذاهبة، نادمة، وسألقي بنفسي بين ذراعي يسوع؛ لأنني أعلم كم هو محب للابن الشاطر الذي يرجع إليه" (من سيرتها الذاتية).

قبل أن نضع أنفسنا تائبين بين ذراعي يسوع، دعونا ننظر إلى يسوع في الإفخارستيا ونسأله أن يرينا مدى حبه لنا. فلنبدأ بوضع أنفسنا بحضرتة تعالى.

ثم يقوم كل واحد منا باختيار الجملة أو المشهد الذي أثار الإحساس في قلبه.

ونتصور هذا المشهد أو نعيد تلك الجملة أو غيرها، كأن نقول:

يا يسوع، أنت موجود في هذه البرشانة مثلما كنت مع الرسل.

يا يسوع، أنت بذلت نفسك عني وأريتي يديك وجنبك.

يا يسوع، أنت الذي أحببتي قبل أن أحبك.

قال يسوع لراهبة فرنسية معاصرة: "عندما يحتاج شيء إلى الإصلاح،

فإننا نضعه بين يدي الصانع. وأنت، ضعي نفسك الهادئة الساكنة تحت نظري".

ونحن، لنضع أنفسنا الهادئة الساكنة تحت نظري يسوع الرحيم. ونطلب منه أن يشفي الصورة الخاطئة الموجودة في أذهاننا، وندعوه لأن يجذبنا بكلامه كما قال لهذه الراهبة: "أريد ألا يخاف الناس مني بل أن ينظروا إلى قلبي المحب، ويتكلموا معي مثلما يتكلمون مع أخ حبيب... أنا لست معروفاً للبعض، وقد أكون لآخرين غريباً أو معلماً ظالماً، أو أنا الذي سيحاسبهم. قليلون هم الذين يأتون إليّ كما يأتون إلى عائلة تحبهم. ومع هذا فإن حبي ينتظرهم. أنت، قولي لهم أن يأتوا إليّ، أن يدخلوا فيّ ويسلموا أنفسهم - كما هي - إلى

محبتي؛ فإني أصلحهم، وأعمل على تغييرهم. سيغرفون من فرح لا حدود له، لأنني أنا وحدي أستطيع أن أعطيهم إياه. لكن عليهم أن يأتوا إليّ أولاً، قولي لهم أن يأتوا فأنا أنتظرهم.

اللقاء السابع

محبة اللآب

مقدمة

رأينا في اللقاء السابق ظهور يسوع؛ ليرينا بنفسه إلى أي حد تصل رحمة الآب، فقد أثبت لنا ذلك بموته على الصليب.

كتب البابا يوحنا بولس الثاني سنة ١٩٩٦ رسالة إلى مطران لييج Liège جاء فيها: "عندما نتأمل يسوع الموجود في الإفخارستيا، يتقرب منا ويصبح جزءاً لا ينفصل عنا. فهو يشاركنا حياته الإلهية، وهذه الوحدة تغيرنا، وبقدرة الروح القدس يفتح لنا طريق الآب، كما قال لفليبس: "من رأني رأى الآب" (يوحنا ٩ : ١٤).

عندما نتناول القربان الأقدس، نشكر الله الآب بطريقة عميقة؛ لأنه من خلال ابنه زارنا وخلصنا.

بذبيحة الصليب، أعطى يسوع الحياة للعالم وجعلنا أولاده بالتبني وعلى صورته. وهكذا فقد منحنا علاقة حميمة وخاصة، سمحت لنا أن نناديه بهذا اللقب الجميل "يا أبْت" (Osservator Romano 18/6/96).

سنتعرف اليوم إلى أمرين:

الأول: ماذا علمنا يسوع عن الله الآب؟

الثاني: كيف يمكننا أن نعيش كأبناء لله؟

(١) الله هو أب لنا

في ثلاث السنوات التي قضاها التلاميذ مع يسوع، رأوه يختلي مراراً في المساء أو الصباح الباكر ليصلي وحده. والتعابير التي ظهرت على وجهه كانت تحثهم على أن يتعلموا منه الصلاة: "وكان يصلي في بعض الأماكن، فلما فرغ قال له أحد التلاميذ: يا رب، علمنا أن نصلي" (لوقا ١١ - ١). فأجاب يسوع بالنصيحة الآتية كما ذكرت في إنجيل متى: "أما أنت، فإذا صليت فادخل حجرتك وأغلق عليك بابها وصل إلى أبيك الذي في الخفية، وأبوك الذي بالخفية يجازيك" (متى ٦ : ٦).

لا تؤثر هذه الكلمات فينا كثيراً لأننا نعرفها جيداً، لكن دعونا نتصور تأثيرها على الرسل آنذاك، فهم كانوا يعرفون من المزامير والأنبياء أن الله هو أب لنا: "كما يرأف الأب بينيه، يرأف الرب بمن يتقونه" (مز ١٠٣ : ١٣).

"بروابط الحب اجتذبهم وكنت لهم كمن يرفع الرضيع إلى وجنتيه" (هوشع ١١ : ٤). فلم يقل يسوع للرسول "صلّ إلى إلهك"، بل "صلّ إلى أبيك". فلفظ كلمة "أبيك"، ولم يقل لمن هو مثل أبيك. وخص بذلك الرسول أي كل واحد منا، فهو أبونا، أب لكل واحد منا. وهذا اللقب كان أعز شيء يستطيع أن يتفوه به إنسان في اللغة الآرامية. أما بالنسبة اليهود فتوجيه مثل هذا الكلام لله يعتبر جريمة. ومع هذا نستطيع أن ننادي الله أبانا بكل ثقة.

الله هو أبي. بهذه الكلمات البسيطة تستطيع أن تغيّر حياتك.

قبل أن نتعمق أكثر، علينا الأخذ بعين الاعتبار أننا عندما نتكلم عن الله أيينا، لا شك في أننا نقربه من أيينا الأرضي. ذلك الأب الذي كان في بعض الأحيان، رجلاً محباً، قد اعتنى بنا وأرشدنا وشجعنا، وكانت علاقتنا به جيدة؛ هذه الصورة الإيجابية عن الأب تساعدنا كثيراً في اعتبارنا الله أباً لنا. أما إذا كان هذا الأب شديداً جداً أو ضعيفاً أو منعزلاً عن أولاده، ومن الممكن أن يكون غائباً أو مطلقاً أو أنه قد مات ... أو ترك جرحاً ما في معاملته لنا، فإنه يكون صورة سلبية عن الأبوة. فكل هذا ينطبق على الله ويؤثر في علاقتنا مع الله الأب. كيف نستطيع - في مثل هذه الحالات - أن نفتح أمام الله الأب؟ كيف نبادله الثقة ونسلم أمرنا له؟

إن كلمة دين "Religion" تعني علاقة؛ أي أن هناك علاقة ما تربطنا بشخص آخر. ففي المسيحية نحن لسنا مرتبطين بفكرة أو بأيدولوجية معينة، أو بتصور وهمي، أو بإله بعيد، لكننا مرتبطين بالأب والابن والروح القدس. هذا رباط حقيقي وشخصي. فلنا الحق في أن نتساءل: إن كان الله أبي فماذا أتوقع منه؟ وما هي الإجابات التي يمكن أن يعطيني إياها الكتاب المقدس من العهد القديم والعهد الجديد؟

عندما نتكلم عن الأب، ننتظر أمرين يتم أحدهما الآخر، هما:

إن أبي يحبني كما أنا.

أريد أن يكون أبي حاضراً من أجلي.

إذن، ما فائدة الأب الذي لا يحب أولاده أو لا يهتم بهم؟!

١ - ١) الأب يحبنا

يرغب الإنسان في أن يكون محبوباً. ونحن نريد من أيينا أن يحبنا، نسعى لأن ينتبه لنا ويرحب بنا كما نحن. وهذا ما يقوله أشعيا عن الله: "وقد جعلت مصر فدية عنك وكوش وسبأ بدلاً منك، إذ قد صرت كريماً في عيني ومجيداً، فإني أحببتك ...

لا تخف فإني معك" (أشعيا ٤٣ : ٣ - ٥). هذه الكلمات يرددها كل واحد منا "أنت كريم في عيني ومجيد فإني أحبك".

أحبنا الأب ولم يقدم مصر فدية عنا فحسب، بل قدم لنا ابنه الوحيد؛ ليعطينا الحياة: "فإن الله أحب العالم حتى أنه جاد بابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من آمن به" (يوحنا ٣ : ١٦).

كثيراً ما نعتقد أن الذين من حولنا يتقبلوننا للدور الذي نلعبه، أو لأننا نتستّر على بعض الأمور، وهنا يجدر بنا أن نطرح هذا السؤال: ألا نرغب في أن نكون محبوبين لأجل أنفسنا، كما هي؟ فالله يعرفنا حق المعرفة كما جاء في المزمير: "أنت الذي كوّن كليتي ونسجتني في بطن أمي. أحمدك لأنك أعجزت فأدهشت. عجيبة أعمالك" (مز ١٣٩: ١٣، ١٤).

الله يفهمنا دون أن نوضّح له: "يا رب أنت سيّرتني فعرفتني، عرفت جلوسي وقيامي. فطنت من بعيد أفكاري، قدرت حركاتي وسكناتي وألفت جميع طريقي. قبل أن يكون الكلام على لساني أنت يا رب عرفته كلّهُ" (مز ١٣٩: ١-٤).

نستطيع أن نمثل أمام الآب دون أن نتحدث إليه؛ فهو يعرف أفرحنا ومشاكلنا، يعرف تماماً ما يقلقنا وما يفرحنا؛ فهو يفهمنا بكل تأكيد.

١ - ٢) يبقى الآب دائماً معنا

أما فيما يتعلق بالقضية الثانية، وهي كون هذا الآب الذي يحبنا باقياً معنا. وهي الأمنية التي تكلم بها يسوع عندما خاطبنا قائلاً: فإذا صليت فادخل حجرتك وأغلق عليك بابها وصلِّ إلى أبيك بالخفية، وأبوك الذي يرى بالخفية يجازيك (متى ٦: ٦). يقول لنا يسوع: إن الآب هو في الخفية. إذن، أين ينتظرنا الآب؟ أفي هذه الغرفة أو في هذا المكان؟ أهو بداخلنا؟ أم هو في قلبنا؟

إلهنا ليس أباً لا نقدر أن نصل إليه في السماء؛ فهو قريب منا، لا بل هو في داخلنا، هو كما يقول يسوع في إنجيل يوحنا: "إني في أبي وإنكم فيّ وإني فيكم" (يوحنا ١٤: ٢٠). "إذا أحبني أحد حفظ كلامي فأحبه أبي ونأتي إليه فنجعل لنا عنده مقاماً (يوحنا ٢٣: ١٤). فهل توجد علاقة حميمة أكثر من هذه بين الآب وابنه؟ تقول "اليزابيث الثالث الأقدس" عندما نعلم أن الآب والابن والروح القدس موجودون فينا لا يمكننا أن نشعر بأننا وحدنا".

١ - ٣) لا يتركنا الآب البتّة

نحن لا ننتظر من الآب أن يتركنا أو ينسانا؛ فنحن مطمئنون بقربه. يروي لنا Yves Bouvin - وهو طبيب نفساني مشهور - كيف تغيرت حياته، قال: "تغيرت حياتي يوماً لأنني كنت أحمل إحدى بناتي الصغار في كيس أمام صدري.

كنت ماشياً على جانب الطريق عندما مرّت بجانبنا شاحنة كبيرة. فشعرت بالطفلة تتقوقع؛ فضممتها إلى صدري. صحيح أنها أحست بالخوف لكنها كانت كلها ثقة فيّ. فعرفت حينها أنني ضعيف أيضاً وعلى أن ألتصق بالله كما أرادت هذه الطفلة الالتصاق بي" (من كتاب العائلة المسيحية).

ألم نشعر أحياناً بحاجتنا إلى من يساعدنا؟ وإن لم نجد أحداً نتشبث به نشعر بفراغ. نعلم أنه يحيط بنا قلق مخيف في بعض الأحيان، ويحثنا هذا القلق على أن نتمسك بأشخاص أو بمال كي لا نشعر بالضعف

يتغلب علينا. وفي كثير من الأحيان، عندما نقع في مصيبة ما، نشعر بأن الجميع قد تخلّوا عنّا، حتى الله نفسه، فنحسّ حينها أننا كاليتامى.

أحس بهذا شعب الله، عندما كان مضطرباً، فأجابه الله على لسان أشعيا: "أتنسى المرأة رضيعها...؟ فلو نسيت النساء فأنا لا أنساك. هاءنذا على كفي نحتك" (اشعيا ٤٩: ١٥، ١٦).

بجراحاته أكد لنا يسوع أننا منقوشون على كفه. فهو لا يتركنا. كما نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين: قال الله "لن أترك ولن أخذلك". فيمكننا القول واثقين: "الرب عوني فلن أخاف، وما عسى الإنسان يصنع بي" (عبرانيين ١٣: ٤-٦). لن يتركنا الله فممن نخاف؟ "لا تخافوا". هذه كانت الكلمات الأولى للبابا عندما انتُخب.

١ - ٤) الأب يؤمن لنا المستقبل

من المواقف التي نخشاها هي الخوف من المستقبل؛ لأنه ينقصنا الأمان. يحيينا الله على هذا، بضم النبي إرميا: "لأنني أعلم أن أفكاري التي أفكرها بشأنكم، يقول الرب، هي أفكار سلام لا بلوى > لأمنحكم بقاءً ورجاءً. فتدعونني وتذهبون وتصلون إلى فأستمع لكم، فتجدونني إذا طلبتموني بكل قلوبكم، وأدعكم تجدونني" (إرميا ٢٩: ١١-١٣).

١ - ٥) الأب يعزينا

تعزية الأب هي أمنية الطفل. أليست هي أميتنا - أيضاً - كباراً وصغاراً؟ يقول لنا بولس الرسول: "تبارك الله أبوربنا يسوع المسيح، أبو الرأفة وإله كل عزاء. فهو الذي يعزينا في جميع شدائدنا لنستطيع، بما نتلقى نحن من عزاء من الله، أن نعزي الذين هم في أي شدة كانت" (٢ كورنثس ٣: ١ - ٤). الله هو أب ويعرف أوضاعنا الصعبة. يمكننا أن نلتفت إليه في أوقات شقائنا وهو يعزينا، عما علينا إلا أن نميل إلى قلب الأب.

١ - ٦) الأب يقوينا ويجددنا

لا يكتفي الله بتعزيتنا، بل ويقوينا أيضاً؛ لأنه الأب الذي يشدد عزائم ابنه. يقول النبي إرميا: "أحببتك حباً أبدأً فلذلك اجتذبتك برحمة، سأبنيك أيضاً فتني" (إرميا ٣١: ٣ - ٤).

من الممكن أن نكون قد اخترنا تعزية أبينا بعد فشلنا في موضوع ما، وأن تكون ثقتنا به قد تلاشت أحياناً. أما أبونا السماوي فهو دائماً بينينا من جديد بعد التعزية؛ لأنه يضع ثقته فينا مثلما خاطب يسوع تلاميذه: "الحق الحق أقول لكم: من آمن بي يعمل هو أيضاً الأعمال التي أنا أعملها، بل يعمل أعظم منها لأنني ذاهب إلى الأب" (يوحنا ١٤: ١٢).

فالأب يعلم أننا نستطيع أن نقوم بأعمال أعظم. فيسوع لم يركز إلا في فلسطين لكن تلاميذه كرزوا حتى في روما، وبعضهم وصل إلى الهند. وفي أيامنا هذه، عندما يتكلم قداسة البابا يستمع إليه ملايين الناس. فالله هو الذي يعطينا هذه القوة والإمكانات كما يقول لنا القديس بولس الرسول: "ذلك الذي يستطيع بقوته العاملة فينا، أن يبلغ ما يفوق كثيراً كل ما نسأله أو نتصوره" (أفسس ٣: ٢٠).

نتوقع من أي أب عندما نقترف ذنباً كبيراً أن يغفر لنا ويمنحنا فرصة أخرى للعمل على إصلاح أنفسنا، كما فعل يسوع مع اللص اليمين والرسول.

كلنا يعرف مثل الابن الشاطر، ذلك الابن الأصغر الذي طلب نصيبه من المال وأنفقه في اللهو. وعندما أصبح وحيداً، لا يملك شيئاً، رجع نادماً، مع أنه عرف أنه خسر بنوته، لكن: "كان لم يزل بعيداً إذ رآه أبوه، فتحرّكت أحشاؤه وأسرع فألقى بنفسه على عنقه وقلبه طويلاً (لوقا ١٥ : ٢٠)، وكأن الآب لا يريد أن يستمع إلى عذر ابنه فقال الأب لخدمه: "أسرعوا فأتوا بأفخر حلة وألبسوه ... فنأكل ونتنعم، لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد. فأخذوا يتنعمون" (لوقا ١٥ : ٢٢ : ٢٣)، فهو لم يوبخه البتة، بل غمره بحبه.

فأبونا السماوي مستعد دائماً لأن يسامحننا؛ لكنه لا يستطيع أن يرغمنا على أن نقبل حبه. لذلك يتوسل إلينا بأن نرجع إليه. هذا هو النداء الذي نسمعه كل سنة يوم أربعاء الرماد: "نسألکم باسم المسيح أن تدعوا الله يصالحکم" (٢ قورنثس ٥ : ٢٠).

بهذا الطلب من المسيح ننتقل إلى الجزء الثاني الذي هو جوابنا لمحبة الآب لنا.

٢) "أبانا" هي صلاة يسوع لأبيه

عندما ودّع يسوع تلاميذه قال لهم: "وما ذلك إلا ليعرف العالم أنني أحب الآب، وأني أعمل كما أوصاني الآب" (يوحنا ١٤ : ٣١). يريد يسوع منا أن نعرف محبة الآب لنا، كما يريد أن يشركنا في محبته لأبيه.

عندما نسجد ليسوع في القربان الأقدس، يدعوننا لأن نسلّم أنفسنا معه بين يدي أبيه. هذا ما كان يفعله يسوع كل صباح. لما طلب منه الرسل أن يعلمهم كيف يصلون، علمهم الصلاة الربانية. بها علمهم محبته وصلاته هو للآب.

وضعت كتب كثيرة حول هذه الصلاة، لكننا اليوم سنكتفي بتلميحات بسيطة؛ فهي أجمل صلاة للمسيحي لأنها تشمل كل أنواع الصلاة: السجود، والابتهال والطلب والغفران.

السجود والابتهال

"ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك"

تملاً يسوع الدهشة، فهو مستمر في تمجيد أبيه، ويتوق بكل قواه لأن يأتي ملكوته لتتحقق مشيئته. وقد أعطانا المثل بأنه أتم مشيئة الآب حتى النهاية.

وماذا كانت هذه المشيئة؟ "مشيئة الذي أرسلني ألا أهلك أحداً من جميع ما أعطانيه، بل أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا ٦ : ٣٩).

تنازل يسوع عن مشيئته؛ ليحقق مشيئة الآب: "يا أبت، إن شئت فاصرف عني هذه الكأس ... ولكن لا مشيئتي، بل مشيئتك" (لوقا ٢٢ : ٤١).

هذا الطلب يعني في الواقع أنني متنازل عن مشيئتي لأعمل مشيئة الآب.

هذا يخيفنا لأننا نفكر بأننا سنضطر للقيام بعمل أشياء صعبة جداً، أو أننا لا نحب أن نقوم بها. هذه صورة خاطئة للآب لعدم ثقتنا به بصورة كافية. كانت القديسة تريزا الصغيرة تقول: "إن الثقة وحدها هي التي توصلنا إلى المحبة".

فطلب من يسوع ومن هذه القديسة أن ينميا فينا هذه الثقة لنستطيع أن نكرر هذه الجملة من كل قلبنا.

_ صلاة الطلب

"أعطنا خبزنا كفاف يومنا، لا تدخلنا في التجارب، لكن نجنا من الشرير". كان يسوع ينتظر كل شيء من أبيه باستسلام كامل ودون حدود، ينتظر منه الخبز اليومي: الروحي والمادي. هو لا يطلب منه الشيء الكثير؛ لأن ثقته بالآب كاملة. لذا كانت تريزا الصغيرة تكتب: "فقط لهذا اليوم" لأننا سمعنا وعد الله لنا "لن أتترك ولن أخذلك" (العبرانيين ١٢ : ٥). "لأمنحكم بقاءً ورجاءً" (إرميا ٢٩ : ١١).

كلا، نحن لسنا معلقين فوق هاوية. إن الآب يحملنا على صدره. لذلك دعونا نوليه كل ثقتنا ولننتظر كل شيء منه. فلنختر بكل حرية، أن نتوكل عليه مثلما فعل يسوع، فإن جربنا سنرى العجائب.

_ المسامحة

"اغفر لنا خطايانا، كما نحن نغفر لمن أخطأ وأساء إلينا"

الجواب المتوقع الذي نستطيع أن نقدمه للآب الرحيم هو قبول مسامحته.

لنتذكر كلمات القديسة تريزا الصغيرة: "إني أشعر ولو كنت محملة بكل الخطايا التي أمكن أن تقترف في العالم، بأني سأذهب إلى يسوع نادمة، وأطرح بنفسني بين ذراعيه؛ لأني أعلم كم يحب الابن الضال الذي يرجع إليه" (من سيرتها الذاتية).

تحمل يسوع كل خطايانا، "جعل نفسه خطيئة" ليبررنا ويعيد كل إخوته وأخواته إلى أبيه كي يكون فرحهم كاملاً. فلنعمل كما عمل الابن الشاطر.

لنرجع إلى أنفسنا ونعترف بأننا أخطأنا ثم نمد يدينا ونمسك بيد يسوع لنرجع إلى الآب. نستطيع أن نعمل هذا في كل مرة نقوم فيها بالاعتراف. فكل اعتراف هورجوع إلى بيت الآب والاختباء بين ذراعيه؛ فهو يغمرنا بحبه.

ويقول لنا الكاهن: "إني أغفر لك جميع خطاياك". ويمكنه أن يقول أيضاً كالآب الرحيم: "دعونا نفرح ونبتهج لأن ابني كان ضائعاً فوجد".

بإمكاننا أن نلخص هذا الموضوع بكلمات يسوع للقديسة فوستينا Faustina: "لايستطيع الناس أن يصلوا إلى رحمتي إلا إذا وضعوا كل ثقتهم فيّ."

كلما كانت الثقة فيّ أكبر كانت رحمتي أوفر. قولي لهم يا ابنتي، إنني لست سوى المحبة والرحمة. كل من يلتجئ إليّ بثقة يحصل على نعم كثيرة جداً لا يستطيع أن يحملها وحده، ويضطر لأن يشاركها مع الآخرين. إن للخاطئين خاصة حقاً كبيراً من رحمتي. إنني أبتهج كثيراً عندما يطلبون رحمتي وأنا أغمرهم أكثر بكثير مما كانوا يرجون."

٣) مساعدات عملية للسجود

سنبدأ الآن بالسجود معاً. يسوع الموجود أمامنا والذي تأملنا معه بمحبة الآب سيعلمنا أن نصلي "أبانا". إن السجود للقربان الأقدس هو تكملة للقداس.

في القداس الإلهي، نصلي دائماً للآب بواسطة يسوع المسيح: "فبالمسيح ومع المسيح وفي المسيح أرفع إليك أيها الآب...". عندما نصلي أمام القربان، نصلي ليسوع وتذكر ما قاله: "أنا في الآب والآب فيّ" (يوحنا ١٤ : ١٥). وهذا يعني أنه حيث يكون يسوع، يكون الآب، وحيثما يكون يسوع والآب يكون الروح القدس.

ليست الإحساسات هي الأمر الأهم في الصلاة. حتى لو لم أشعر بشيء إلا أنني أقدر على أن أسلم ذاتي لله بكل ثقة. إنني أؤمن بأن كلام الكتاب المقدس كله حقيقة؛ لذا فإنني أؤمن بأن الله الآب موجود أمامي، وهو يحبني ويعزييني ويسامحني حتى لو لم أكن أشعر بحضوره. فخبرتنا بالله لا تأتي من أحاسيس، بل من ثمار هذا السجود.

عندما نسجد ليسوع في القربان المقدس نتساءل: بأي محبة ينظر يسوع إلى الآب؟ وبأي محبة يبادل الآب هذا الحب؟ فلننظر إلى الآب مثلما ينظر إليه يسوع ولنقل له "يا أبت".

دعونا ننظر إلى يسوع كما ينظر إليه الآب ونقول: "يا يسوع".

دعونا نلفظ هذه الكلمات مراراً يا أبت ... يا يسوع".

نستطيع أن نصلي "أبانا" مثلما كانت تفعل "تريزا الصغيرة".

"عندما تتشّبت أفكارى ولا أجد ما أقوله للرب، أتلو الصلاة الربانية بتمعن، فهذه الصلاة تنعشني وتغذي نفسي أكثر من مراجعتها مائة مرة" (من سيرتها الذاتية).

يمكننا أن نتصور الآب فاتحاً ذراعيه وينتظرنا، فبأخذنا يسوع ويوصلنا إليه.

دعونا نستمع إلى الكلمات التي تفوه بها الآب عندما تعمدنا: "أنت ابني الحبيب"، أو "أنت ابنتي الحبيبة".

والآن سنبقى صامتين تاركين يسوع يعمل فينا.

يقول البابا يوحنا بولس الثاني: "يُجسد يسوع الرحمة، به يصبح الله منظوراً كأب المرحوم". قال يسوع لفوستينا: "من خلال القربان ستشع رحمتي إلى أقاصي الأرض". إذن، عندما نتأمل يسوع في القربان الأقدس

نرى الآب أيضاً، فلنبق صامتين! "أنظري، إني حقيقة هنا في الإفخارستيا، بحضوري يشع الآب رحمته الواسعة عليك. تعالی، أنا معك وأرافكك. تعالی معي لكي نميل على قلب الآب".

اللقاء الثامن

الروح القدس هو السيد الذي يعطينا الحياة

مقدمة

أن الأوان في هذا اللقاء لأن نتحدث عن الذي كان معنا منذ البدء؛ أي الروح القدس. فباسمه تعمدنا: إني أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس، وكلما رسمنا إشارة الصليب، فإننا نذكره. ومرات كثيرة لا نتبه إلى فعلنا.

فبدونه لم تكن الكنيسة، وبدونه أيضاً تبقى الأسرار مجرد رموزاً، حتى القربان لا يكون إلا قطعة خبز.

١) من هو الروح القدس؟

من الواضح أننا لا نستطيع أن نتحدث بصورة كاملة عن الروح القدس في لقاء واحد. لكننا، في هذا اللقاء، سنتطرق إلى بعض الأمور التي تخصه، وسنترك أموراً أخرى لنعود إليها في المستقبل.

في قانون الإيمان، نؤكد على إيماننا بالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الآب والابن، الذي هو مع الآب والابن، يسجد له ويمجد، الناطق في الأنبياء.

يصف العهد القديم الروح القدس كنسمة هواء، نسمة من الله، نسمة حياة، تعطي الحياة. والروح القدس في كتاب أشعيا هو هدية نزلت على المسيح.

أما يسوع، فعندما ألقى عظته الأخيرة في عليّة صهيون، كشف للرسول عن أن الروح القدس هو روحه.

عندما نتحدث عن شخص لطيف جداً، نقول إنه اللطف نفسه. في الثالوث الأقدس، الروح القدس هو العطاء بالذات؛ أي "المحبة المتجسدة" (رسالة البابا يوحنا بولس الثاني حول الروح القدس (DV 22)). يهب الآب نفسه كاملة للابن، بكل محبة، والابن يعيدها كاملة للآب. فهذا العطاء المتبادل في المحبة، هو نفسه الروح القدس.

هل حدث أن عشقت إنساناً؟ أم هل ضمنت مولوداً جديداً إلى صدرك؟ أذهلت من رؤية منظر جميل؟ أم هل استمعت إلى قطعة موسيقية تسلب العقل؟ فإن اختبرت ذلك، تستطيع أن تفهم كيف أن باستطاعة المحبة إيقاف القلب.

إنّ الروح القدس هو هذه النار الحارقة، كما نقول في نشيد القربان (هيا أروح الخالق): "نار وحبّ مسعر". في كل قداس، يطلب الكاهن من الله الآب أن يرسل روحه القدوس على الخبز والخمر بهذه الكلمات: "لذلك فيما

نحيي ذكرى موت ابنك وقيامته، نقدم لك، أيها الآب، خبز الحياة وكأس الخلاص، ونشكرك على أنك أهلتنا لأن نمثل أمامك ونخدمك. نبتهل لك خاشعين نحن الذين نشترك في جسد المسيح ودمه، أن يجمعنا روحه القدس ويوحدنا" (الصلاة الإفخارستية الثانية). هكذا في كلّ قداس، ينزل هذا الحب المفعم على المذبح لكي يحي هذا الخبز والخمر ويحوّله إلى جسد ودم يسوع المسيح.

قلنا لكي يحيي، لكن كثيراً ما نتناول جسد المسيح، وكأنه شيء لا حياة فيه، مع أننا نتناول جسد يسوع نفسه القائم من بين الأموات الذي يحترق حباً لنا، ولا يتوقف إلا عندما يصير فينا. يقول لنا القديس أفرام السرياني: "ادّعى يسوع هذا الخبز جسده الحي، وقد ملأه من حبه من روحه، فالذي يأكله بإيمان يأكل من نار محبته وروحه.

خذوا وكلوا منه كلكم، وكلوا معه روحه القدس" (الكنيسة من الأفخارستية ١٧). فما قاله القديس أفرام، ينطبق علينا اليوم أيضاً؛ فقبولنا للإفخارستيا، هو قبول لنار محبة المسيح وروحه.

في هذا المساء، سنجري تغييراً بسيطاً على طرقتنا السابقة. فبعد أن اطلعنا على بعض المعلومات عن الروح القدس، سنقوم بصمد القربان الأقدس ونبدأ السجود بترتيلة "هيا أروح الخالق" طالبين من الروح القدس أن يأتي و "يفيض فينا الحبّ الثمين". لكن، قبل هذا، فلنطّلع على عمل الروح في بدء الخليقة.

١ - ١) الروح القدس في العهد القديم

نرى حضور الروح القدس في أول كلمات العهد القديم: "في البدء خلق الله السماوات والأرض ... وروح الله يرفّ على وجه المياه" (تكوين ١ : ١).

فالروح القدس - إذن - موجود منذ الخليقة. كلما أحيا الله الآب شيئاً بكلمته، كان الروح القدس حاضراً، كما نقول في "نؤمن": وبالروح القدس الرب المحيي، كل شيء يحيا بالروح القدس خاصة عندما خلق الله الإنسان على صورته. هكذا يمكننا أن نفهم بدء عطاء الله " (DV 12).

توجد مقاطع أخرى في العهد القديم تتحدث عن عمل الروح القدس بطريقة محسوسة، فيدخل في بعض الأشخاص، مثل موسى وداود، ويفهم النعم اللازمة ليتمموا العمل الذي أوكلهم الله به. كأن يقال، إن روح الله كان في موسى قبل ثلاثة آلاف سنة، وألهمه أن يتلو هذه الصلاة: "لا أطيق أن أحمل هذا الشعب وحدي؛ لأنه ثقيل علي ... وأخذ الله من الروح الذي على موسى وأحلّه على الرجال (فقال موسى) ... ليت كل شعب الرب أنبياء بإحلال الرب روحه عليهم" (عدد ١١ : ٢٤). ثم نرى أن الرب قد أنبأ بمجيء الروح بضم الأنبياء: أشعيا، إرميا، حزقيال، يوثيل. والنبي يوثيل

هو الذي تنبأ بأن الله سيستجيب لصلاة موسى: "أفيض روحي على كلّ بشر" (يوثيل: ٣ : ١).

١ - ٢) الروح القدس في العهد الجديد

أما في العهد الجديد، فنشهد عمل الروح القدس بطريقة عظيمة، وفي كل مرة، تبتهج أنفسنا.

على ملتقى الطريق بين العهد القديم والعهد الجديد، نجد العذراء مريم.

فعندما سألها الملاك جبرائيل إن أرادت أن تكون أمًا للمسيح، أجابت: "كيف يكون هذا؟" فقال الملاك: "الروح القدس يحلّ عليك". ثمّ أننا نرى أنّ الروح القدس يحل على كل واحد يقترب من المسيح، حتى وهو في بطن أمه. "امتألت أليصابات من الروح القدس وارتكض الجنين في بطنها وقالت: "من أين لي أن تأتيني أمّ ربي؟". ثم أن مريم، الملمّمة من الروح القدس، مجّدت الله بأجمل ترتيلة شكر نعرفها: "تعظم نفسي الرب". ونحن نعرف أيضاً أنّ سمعان الشيخ كان ينتظر المسيح؛ فأتى إلى الهيكل بوحي من الروح القدس وعرف الطفل وشكر الرب وتنبأ. أه كم كانت عظيمة فرحته!

ونزل الروح اقدس على يسوع عندما عمدته يوحنا، ثم رجع إلى الجليل بوحي من الروح القدس. وعندما قرأ في مجمع الناصرة من كتاب أشعيا: "روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر الفقراء... (ثم قال) اليوم تمت هذه الآية بمسمع منكم" (لو ٤ : ١٨ - ٢١). فلا شكّ أنه بعد هذا الكلام، "كانوا جميعاً يشهدون له، ويعجبون من كلام النعمة الذي يخرج من فمه" (لو ٤ : ٢٠ - ٢٤).

وفي يوم آخر، صرخ يسوع في الهيكل قائلاً: "إن عطش أحد فليقبل إليّ، ومن آمن بي فليشرب، كما ورد في الكتاب: "ستجري من جوفه أنهار من الماء الحي. و أراد بقوله "الروح الذي سيناله المؤمنون به" (يو ٧ : ٣٨). وفي العلية، عندما ودع

يسوع تلاميذه، وعدهم بمجيء الروح القدس: "وأنا سأسأل الآب فيهب لكم مؤيداً آخر يكون معكم للأبد، روح الحق ... هو يعلمكم جميع الأشياء، ويذكركم جميع ما قلته لكم" (يو ١٤ : ١٦ - ٢٦). "إنه خير لكم أن أذهب؛ فإن لم أذهب، لا يأتيكم المؤيد. أما إذا ذهبت، فأرسله اليكم" (يو ٧ : ١٦). وأخيراً، أعطى يسوع الروح القدس عشية الفصح للرسل، عندما نفخ فيهم وقال: "خذوا الروح القدس" لكي يكمل عمله بواسطتكم..

١ - ٣) العنصرة

الروح القدس الذي أعطى سرّاً في علية صهيون، عشية القيامة، سيظهر على الملائكة يوم العنصرة. عندما كان الرسل يصلون مع العذراء مريم "انطلق من السماء بغثة دوي كريح عاصفة، فملأت جوانب البيت الذي كانوا فيه، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار قد انقسمت، فوقف على كل منهم لسان، فامتألوا جميعاً من الروح القدس، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم، على ما وهب لهم الروح القدس أن يتكلموا" (أع ٢ : ٢).

نرى أنه نفس الروح الذي يوزع على كل الحاضرين. هو روح واحد، إله واحد، لكنه يعطي كل واحد حصته؛ لأن كل واحد محبوب لذاته ويحظى على ما يساعده، لينمو وينمي معه الكنيسة والآخرين. فأول نتيجة لحلول الروح القدس هو مفهوم جديد للماضي. مفهوم لكل ما علمهم إياه يسوع ولم يفهموه في ذلك الوقت. وما فهموه يملأهم فرحاً فيبشرون بعظائم الله. إنهم ثملون من الفرح "هم الذين أحسوا بأنهم يتامي، فبعد موت يسوع أصبحوا ممتلئين قوة، وحاضرين لأن يقوموا بالعمل الموكل إليهم" (DV 25).

بطرس الذي كان خائفاً عند محاكمة يسوع، ها هو يركز بلا خوف وبصوت جهير، ونراه يقول أشياء لم يجرؤ على أن يتكلم بها في السابق. فهو يجابه الشعب

الذي أمامه قائلاً لهم: "يا رجال اليهودية، أصغوا لما أقول: ليس هؤلاء بسكارى كما حسبتم، لكن هذا ما قيل بلسان النبي يوثيل : سيكون في الأيام الأخيرة، يقول الله، أني أفيض من روجي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ... يا بني إسرائيل، اسمعوا هذا الكلام: إن يسوع الناصري، ذلك الرجل الذي أيده الله لديكم بما أجرى على يديه بينكم من المعجزات والأعاجيب والآيات، كما أنتم تعلمون ... فيسوع هذا قد أقامه الله، ونحن جميعاً شهود على ذلك. فلما سمعوا ذلك الكلام، تفتطرت قلوبهم، فقالوا: ماذا نعمل أيها الإخوة؟ فقال لهم بطرس: توبوا، وليعتمد كل منكم باسم يسوع المسيح، لغفران خطاياكم، فتنالوا عطية الروح القدس" ... فالذين قبلوا كلامه اعتمدوا، فانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس" (أ ع ٢ : ٤١ - ١٤).

لاحظنا أنه عندما يحل الروح القدس على إنسان ما، يعمل بجدية. فهذا يؤكد الخبر الذي قاله يسوع بأن الرسل سيقومون بأعمال أعظم مما فعل. طبقاً لكلمات بطرس، تعمد ثلاثة آلاف شخص، وكل واحد منهم حلّ عليه الروح القدس، وهكذا تحققت صلاة موسى بعد ثلاثة آلاف سنة.

لنتمعن في الطريقة التربوية التي ألهمها الروح القدس لبطرس. بدأ بإظهار معرفته بالكتب، فهو يذكرهم بنبوءة يوثيل ثم يواجههم بخطيئتهم: إنكم صلبتم يسوع. لكنه يسارع فيقول: إن الله أقامه من بين الأموات وسامحكم، ثم أرسل روحه القدوس الذي وهد به. ونرى أن الناس تفتطرت قلوبهم وسألوا بطرس: ما العمل؟ أجابهم بطرس: تعمدوا فيحلب عليكم الروح القدس.

١ - ٤) المعمودية

بالنسبة لنا، لم تنفطر قلوبنا عندما تعمدنا، لكن الروح القدس حلّ علينا واكتسبنا مواهبه، مثل الرسل. ازدادت هذه المواهب قوة عند التثبيت. لكن، لماذا كانوا هم مبتهجين ولسنا نحن مع أننا قد حظينا بنفس المواهب التي جعلنا نشارك في حياة الله؟

أصبحنا أبناء الله وشركاء في لاهوته. نحن أولاد الملك! نحن ورثة، مع أننا نعيش مثل الخدم في بيت أبينا. نحن نعلم أن الأب أجاب ابنه الأكبر: "يا بني، أنت معي دائماً أبداً، وجميع ما هولي فهولك" (لوقا ١٥ : ٣١). هذه هي الهدايا التي حصلنا عليها في المعمودية؛ فنحن دائماً مع الله الأب لأنه يسكن فينا. كل ما له، فهولنا. هذه حقيقة، لأنه هو نفسه قال لنا ذلك، لكننا كثيراً ما نتصرف كالابن الأكبر، ولا نستفيد من هذه النعم. إن الله يعطينا كل شيء.

دعونا نأخذ مثلاً حياً. لنتخيل أن لدينا صندوقاً، كما نقرأ عن الكنز في قصص الخيال، وتوجد في هذا الصندوق جميع نعم الله. لكننا نبقي على هذا الصندوق مغلقاً ولا نستفيد منه البتة. مع أن الله يشجعنا على أن نفتح ونستفيد منه كما قال على لسان أشعيا: "أيها العطاش جميعاً، هلموا إلى المياه، والذين لا فضة لهم هلموا اشتروا وكلوا، هلموا اشتروا بغير فضة ولا ثمن خمرأ ولبناً وحليباً اسمعوا لي سماعاً وكلوا الطيب ولتلتذذ بالدمسم نفوسكم" (أشعيا ٥٥ : ١ - ٣).

هذا الماء الحي، هو الروح القدس مع كل هباته. كل هذا دفع ثمنه يسوع؛ لذلك فهولنا بدون فضة. لكننا عمينا عن أن نذهب إلى هذه المياه ونحصل عليها بأنفسنا؛ لذا علينا أن نتعطش إليها، هذا العطش هو قوتنا

لنجدد حياتنا في محبتنا لله وللقريب. أما إذا رفضنا كل شيء وأغلقنا قلوبنا، فالنعم "تنزلق" ولا تتمينا. ألسنا نحن موجودين هنا اليوم بسبب الشوق الذي بداخلنا وذلك العطش لنشرب من الله، حتى يجددنا في محبته؟ فإذا كان هذا العطش ضعيفاً، فلنطلب منه أن يعطينا هذا الشوق.

لننظر إلى النعم الكثيرة التي منحنا إياها الله في المعمودية: "إنه يعطينا الروح القدس. فالحياة الأبدية التي يمنحها الآب لابنه توزع تلقائياً على كل فرد منا، لأننا شركاء مع المسيح" (RH 20).

في المعمودية وُهبنا الحياة الإلهية التي جعلتنا أولاد الله. وتجعلنا هذه النعم قادرين على أن نعيش كأبناء الله، وعلى الإيمان به والاتكال عليه ومبادلته المحبة.

هذا ما يحتويه هذا الصندوق، فهو يحتوي على الروح القدس، ومواهبه، كما يحتوي على الإيمان والرجاء والمحبة. أنتم تذكرون كلام حزقيال: "وأرسل عليكم ماء طاهراً، فتطهرون... وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل في أحشائكم روحاً جديدة، وأنزع من لحمكم قلب الحجر وأعطيكم قلباً من لحم، وأجعل روحي في أحشائكم وأجعلكم تسيرون على فرائضي، وتحفظون أحكامي وتعملون بها، وتكونون لي شعباً وأكون لكم إلهاً (أشعيا ٣٦: ٢٥ - ٢٨).

هذه المياه هي ماء المعمودية التي تطرنا. لكن أين القلب من اللحم؟ كثيراً ما نجد أن قلبنا من حجر؛ "لأن الخير الذي أريده لا أفعله، والشر الذي لا أريده إياه أفعل" (روم ٧: ١٩). لذا، نطلب مراراً وتكراراً هذا القلب الذي هو من لحم ولا نشعر أننا حصلنا عليه، مع أننا قد حصلنا عليه بالمعمودية. لكننا قد أخفيناه كما أخفينا الروح القدس. هذا هو الروح القدس الذي سيساعدنا على أن نسير حسب القانون إن سمحنا له بذلك.

واليوم سنقول للروح القدس: "أيتها الروح القدس المعزي، إني أومن أنك فيّ، وأرجوك أن تُحيي فيّ هذا القلب المحب الذي لا أستعمله إلا قليلاً. تعال وساعدني في البحث عن هذا النبع الذي دفنته. إني أمنتك موافقتي الكاملة".

لا شك أنكم تتذكرون كيف بحثت "برناديت" في التراب. ففي البدء لم يخرج إلا طين، ثم تدفقت المياه الشافية. واليوم آلاف الناس يستحمون في هذه المياه. لا أعلم إن كان الله سيطلب منا أن نملاً أحواضاً من النبع الذي سيفيض من قلوبنا أم لا؟ لكن ما يريده هو أن هذا النبع: أي الروح القدس الذي وضعه فينا، سيروينا. حتى لو كان شحيحاً في البداية.

٢) نعيش مع الروح القدس

٢ - ١) التجديد في الصلاة

سنطلب من الروح القدس أن يجددنا في الصلاة، وفي كل يوم.

سنقوم له: "أنعم علينا يا كريم، أن نعرف الآب الحليم والابن ذا الفضل العميم إذ أنت روحهما المعين". ويقول لنا القديس بولس: "أعلمكم أنه لا يستطيع أحد أن يقول: "يسوع ربّي" إلا بإلهام من الروح القدس" (١) قر: ١٢: ٣). ويقول أيضاً: "هذا الروح نفسه يشهد مع أرواحنا بأننا أبناء الله. فإن كنا أبناء الله فنحن ورثة:

ورثة الله وشركاء المسيح في الميراث". فيحق لنا أن نناديه "أبا" (روم ٨ : ١٦). إذن، أيها الروح القدس: تعال إلى قلبي! تعال واكتشف لي أن يسوع هو ابن الله، ساعدني لكي ألتقي به كما كتبت الأم تريزا في وصيتها: "يا بناتي العزيزات، هل سمعتن كلمات محبته؟ هل تعرفتن عليه حقيقة؟ ليس من خلال الكتب فحسب، بل لأنكن حضنتنه في قلوبكن.

هل سمعتن كلمات محبته؟ اطلبن منه هذه النعمة، فهو بشوق كبير ليمنحكن إياها". نعم، أيها الروح القدس، أعطني هذه النعمة. وعلمي كل ما سمعته عن الأب؛ لكي تصبح هذه الكلمات حقيقة أعيشها في قلبي. اجعل كلمة الله تكون حية في قلبي! أيها الروح القدس تعال وأقنعني أنني حقيقة ابن الله وأدخل في محبة الأب.

٢ - ٢) الروح القدس يغذيها في الأسرار

رأينا كيف أن الروح القدس أعطانا الحياة الإلهية. لكن علينا أن نغذي هذه الحياة، وغذاؤنا هو الإفخارستيا. عندما نتناول، نتحد بيسوع القائم من بين الأموات. بعمل الروح القدس، يعطينا يسوع في القربان الأقدس جسده طعاماً ليحفظنا وينمي فينا الحياة الروحية التي بدأت في العماد. ولما ابتعدنا عن الله بالخطيئة، فإن سر التوبة يعيدنا إلى نعمة الله ويجمعنا معه من جديد.

٢ - ٣) الروح القدس يسيرنا في حياتنا اليومية

سنطلب من الروح القدس أن يرشدنا في كل أفعالنا، كبيرة كانت أن صغيرة: في عملنا، في عائلاتنا في دروسنا... مثلاً، لقد أعطانا في سر الزواج النعم اللازمة لحياتنا الزوجية ولتربية الأولاد؛ لذا فلنطلب منه النعم اللازمة لحياتنا كل يوم. وإن كان لابد لنا من الاتصال بأحد، فلنطلب من الروح القدس أن يلمنا الكلام الملائم لهذا الشخص؛ إذ من الممكن أن يكون هذا الشخص أحد أبنائي، أو رفيق عملي، أو صديقاً لي، أو رب عملي... فلنقل للروح القدس: إني أومن بك، إني واثق بأنك ستساعدني، إني أحبك وأريد أن أتبع دائماً نصيحتك.

٢ - ٤) الإصبع الذي يعمل باسم الأب

في أيقونة الثالوث الأقدس لـ "روبلف" نجد أن إصبع الروح القدس يلمس المذبح؛ أي الأرض. فعندما يجرحنا أحد، أو نكون في موقف حرج، أو لا نرى شيئاً أمامنا، فلنذكر هذا الإصبع ونطلب من الروح القدس أن يضعه على جرحنا، فهو بكل لباقة وقوة سينتشلنا ويعزينا.

يمكننا أن نقدم له أيضاً مشكلات أولئك الذين نعرفهم، وإخوتنا ومصائبهم. فلنطلب منه "أن يثدّد بقوته الجسوم، ويقصي الخصوم ذوي السموم. ونقول له أيضاً: "أنت المعزي في الكروب يا منحة العالي الوهوب". (هيا أروح الخالق). ويقول لنا يوحنا في رسالته: "فإذا وبخنا قلبنا، فإن الله أكبر من قلبنا وهو بكل شيء عليم (١ يو ٣ : ٢٠). ويكمل قوله: "لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تنفي عنها الخوف" (١ يو ٤ : ١٨)؛ "لأن محبة الله أفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي وهب لنا" (روم ٥ : ٥). فلنطلب منه أن يهدئ قلبنا في قلبنا بمحبته، ولمبينا السلام الذي يجعلنا نسير حسب مرضاته.

كما قلنا في أول هذا اللقاء، فإننا لا نستطيع أن نستكمل شيء عن الروح القدس ونفيه حقه في لقاء واحد. ففي اللقاءات القادمة، سنتعلم كيف أن الروح القدس، الحاضر فينا، يعلمنا أن نحب رفاقنا، وكيف يكلمنا من خلال الكتاب المقدس. سنخصص لقاء خاصاً لتعلم منه كيف نكون شهوداً مثل الرسل، وكيف نستفيد من مواهبه. أما الآن فلنبدأ بالسجود.

- السجود

سنستقبل الرب بترتيلة سجود. ثم نرسم إشارة الصليب، ونحن نلفظ، بكل إيمان أسماء الأقانيم الثلاثة. ثم سنطلب من الروح القدس أن يفتح قلبنا لعمله. بعدها، سنرسم معاً "هيا أروح الخالق". سنرسمها من كل قلبنا سائلين الروح القدس، أن يزيل كل الشوائب التي تغطي هذا النبع الصافي الذي يفجر فينا يوم عمادنا. ثم سنصلي كعادتنا، لكن في هذه المرة، سنركز على عمل الروح القدس في كل مرحلة. فبمساعده:

سنضع أنفسنا في حضرة الله.

سنحافظ على الصمت.

سنتلو بعض الجمل التي ستبقينا نشيطين في إيماننا بحضور يسوع في القربان الأقدس.

سنستمع، في وقت السجود، إلى صوت الروح القدس في داخلنا، وهو يقول: "تعال إلي الآب". عندما نتأمل في القربان الأقدس، نؤمن أن الآب والابن والروح القدس، حاضرون أمامنا. فلنطلب من الثالث الأقدس أن يدخل إلى قلوبنا ويسعرها بناره.

اللقاء التاسع

العيش في حضرة الله

مقدمة

تحدثنا في اللقاءات السابقة عن يسوع وأبيه وروحه القدس. أما اليوم فسنأمل في حضور الثالوث الأقدس فينا.

(١) النداء للقداسة

هكذا خلق الله الإنسان "جبل الرب الإله الإنسان تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار الإنسان نفساً حيّة" (تكوين ٢ : ٧). إذن، كل امرئ وصلته هذه النفخة الإلهية، هذا الروح الذي يعطي الحياة. إضافة إلى ذلك، لدى عمادنا، حلت علينا نعم فائقة الطبيعة منحتنا الحياة الإلهية.

في رسالته الأولى، في بداية القرن الحادي والعشرين، كتب يوحنا بولس الثاني: "إذا كانت المعمودية تدخلنا في حياة القداسة حقيقة بواسطة يسوع المسيح، وتلبسنا الروح القدس، وإذا كانت حياتنا، في الوقت نفسه، تحت المستوى المطلوب، فإن هذا يتناقض مع ما يجب أن نكون"، ثم يضيف قائلاً: عندما نسأل موعوظاً "أتريد أن تتعمد؟" فنحن نسأله في الحقيقة "أتريد أن تصبح قديساً؟" (NMI § 31).

نحن تعمداً في فترة الطفولة، وناب عنا بهذا الشأن أبائنا وأشبائنا، أما اليوم فنحن راشدون ومتعمدون. وهنا نتذكر سؤال البابا "أتريد أن تصبح قديساً؟" هل لهذا السؤال معنى في حياتنا اليوم؟

على وجه الحقيقة، لا نتوقع مثل هذا السؤال، لا بل إنه يخيفنا. فالقداسة، بحسب تفكيرنا، مقتصرة على بعض المتفوقين. لذا لا يمكننا الوصول إليها. وإننا لا نرغب في أن نقضي وقتنا كله في عراك لنصبح مثاليين، لا بل نريد أن نتلذذ ونتنعم. ومع هذا يقول لنا القديس بولس: "إن الله يريد منكم أ، تعيشوا في حالة القداسة" (أفسس ٤ : ٣). فالتخوف من هذه الكلمة يأتي من فهمنا الخاطئ لها. لنستمع إلى ما قاله قداسة البابا: "المفهوم الحقيقي للقداسة، هو عندما نتحدث عن اتباع المسيح يعني أننا نصبح جزءاً من عائلته. فالقداسة في كل عظمتها ما هي إلا أن ننتهي إلى الثالوث الأقدس. والقداسة ليست شيئاً يكتسب بالكد والسهل، بل هي عطاء من يسوع المسيح اكتسبه على الصليب، وما علينا إلا أن نتقبله" (NM1 § 30).

أتذكرون أيقونة الثالوث التي نرى فيها الآب والابن والروح القدس حول مائدة؟ ثمة مكان رابع لنا. فلكي نكون قديسين، علينا أن نأتي ونجلس في هذا المكان، وأن نعيش مع هذه العائلة. فالقديس هو الذي يعيش في حضرة الله، وبذلك يصبح جزءاً من هذه العائلة. ألم نشعر بهذا عندما تزاممت الجماهير وحضرت من أقاصي المعمورة للاشتراك في القداس الذي أقيم لراحة نفس البابا يوحنا بولس الثاني، وكانوا يهتفون "قديس قديس"؟ جاء في المزمور السادس عشر: "جعلت الرب كل حين أمامي، إنه عن يميني فلن أتزعزع... ستبين لي سبل الحياة. أمام وجهك فرح تام وعن يمينك نعيم على الدوام" (مزمور ٨ : ١٦).

ماذا نفهم من هذا المزمور؟ نفهم أولاً أننا إذا كنا أمام الرب دائماً، فإنه يجعلنا لا نتزعزع؛ لأننا في حضرة الله. فالنعيم لا ينتهي، لكن العيش في حضرة الله يبقينا صامدين، أليست هذه هي القداسة؟ عندما يخبرنا المزمور

بأننا نعيش في حضرة الله فهو يعطينا مفتاح القداسة الذي هو أيضاً مفتاح النعيم. فعندما تسألني الكنيسة: "أتريد أن تكون قديساً؟" فهي في الحقيقة تسألني إن كنت أريد أن أعيش في حضرة الله، وبهذا أتمكن من الوصول إلى نعيم لا حد له؟" فالنظر إلى القداسة من هذا الجانب يغيرنا بها، أليس كذلك؟

(٢) الله يسكن فينا

كيف يمكننا أن نكون في حضرة الله ليل نهار حتى يكون دائماً بقريننا؟ لقد أجاب البابا يوحنا بولس عن هذا السؤال بقوله: عندما تعمدنا نكون قد دخلنا في درب القداسة. وهذه حقيقة؛ فنحن دخلنا في القداسة، أعني قداسة الله؛ لأننا لا نستطيع وحدنا القيام بها. كل ما علينا هو أن نقبل هذه القداسة من الله وأن نعيش في حضرته. هذا ما يقوله لنا القديس يوحنا في بدء إنجيله "جاء إلى بيته فما قبله أهل بيته (يوحنا ١ : ١١). فكل شيء قائم بين الله والناس موجود في هذه الكلمات. فإذا قبلناه تحققت كلمات الإنجيل "أما الذين قبلوه وهم الذين يؤمنون باسمه فقد مكثهم أن يصيروا أبناء الله" (يوحنا ١ : ١٢).

المطلوب منا إذن ألا نقبل يسوع بذهننا فقط، بل بكل ذاتنا، بنفسنا وقلبنا وحياتنا كلها، فالله يريد أن يأتي إلينا. ويمكننا الارتكاز بالإيمان على كلمات يسوع: "إنكم تعرفون في ذلك اليوم، أني في أبي وإنكم فيّ وإني فيكم" (يوحنا ١٤ : ٢٠)، أو: "إذا أحبني أحد حفظ كلامي، فأحبه أبي ونأتي إليه فنجعل لنا عنده مقاماً" (يوحنا ١٤ : ٢٣)، "واثبتوا فيّ وأنا أثبت فيكم" (يوحنا ١٥ : ٤).

هذه كلمات يسوع نفسه. يقول لنا البابا يوحنا بولس الثاني مفسراً هذه الكلمات: "إن هذا التبادل هو روح الحياة المسيحية". ويقول أيضاً: إن هذا التبادل هو عمل الروح القدس، وهو الذي يمكننا في المسيح، ومع المسيح، من التأمل في وجه الآب"، وينهي كلامه قائلاً: "تعلم التفكير في الثالوث هذا في صلاتنا المسيحية هو سر حيوية مسيحتنا التي لا تخشى المستقبل؛ لأنها تتغذى دائماً من النبع الذي يجدد حياتها. نستطيع الآن أن نستمتع إلى ما قاله القديسون في حضور الله فينا.

٢ - ١) ففي القرن الخامس عشر طلب الله من القديسة كاثرين السيانية "أن تتولى أمر عائلتها الكبيرة (كان لها أكثر من ٢٠ اخاً وأختاً)، وكي لا تترك حضور الله فيها، جعلت في نفسها "غرفة داخلية" كانت تلتقيه فيها طيلة اليوم.

وفي القرن السادس عشر كتبت القديسة تريزا الآفلية (مؤسسة الكرمل): "حيث يوجد الله، هناك السماء". تذكر أن القديس أوغسطينس كان يبحث عن الله في كل مكان حتى عثر عليه في داخله، فقال: "لوعرفت، مثل ما فهمت اليوم، أن هذا القصر الصغير، الذي هو نفسي، يقطن فيه هذا الملك العظيم، لما كنت تركته مراراً عديدة يبقى وحيداً.

والقديسة أليزابيث الثالوث الأقدس كتبت في إحدى رسائلها: "في كل حين، في النهار أو الليل، الثالوث الأقدس موجود فيك. فعندما تعرف هذا لن تشعر أبداً بالوحدة".

وماذا أقول عن القديس يوحنا دلاسال؟! فحياته كلها كانت في حضرة الله، وكان يطلب من الرهبان (الفرير) ألا يبدؤوا عملاً دون أن يضعوا أنفسهم في حضرة الله. كما كان يطلب منهم أن يذكروا طلابهم كل نصف ساعة بالعبرة الآتية: "لنذكر أننا في حضرة الله".

وفي القرن السابع عشر عاش طبَّاحٌ في الكرمل يدعي "لوران القيامة" ترك لنا بعض الرسائل يشرح لنا فيها سر حياته الهيجة، وكيف أنه كان يعيش دائماً في حضرة الله ويعمل كل شيء بخالص محبته له. "إنَّ أقدس عمل وأبسطه، والعمل الأكثر ضرورة في الحياة الروحية هو استحضار الله؛ أي أن نفرح ونعتاد على أن نعيش مع الله، من خلال الحديث بكل تواضع ومحبة معه في كل أوان".

لا حاجة لأن نكون في الكنيسة، لنكون مع الله. نستطيع أن نجعل من قلوبنا مكاناً للصلاة حيث نختلي معه ونتحدث بكل تواضع ومحبة. فالجميع يستطيع أن يتحدث مع الله: فهو يعلم أننا نستطيع ذلك. فلنباشر، فهو ينتظر مبادرة منا ... وهو لا يطلب الكثير منا؛ فلنتذكر حضوره من وقت إلى آخر، ولنقم بفعل سجود في داخلنا ... عندما نأكل أو نتحدث يمكننا أن نذكر اسمه أو نرفع شكرنا له ... أي شيء نفعله يرضي الله. حتى دون أن يدري مَنْ هم حولنا أنه في داخلنا. فلنمارس عادة السجود له بهذه الطريقة ولنطلب نعمه، ولنقدم له عاطفة قلبنا من حين إلى آخر؛ فعندما نبدأ عملاً، أو نجدد إيماننا، دعونا نرفع دعاءنا له بتواضع ومحبة".

تقولون هذا سهل. لكن الأخ لوران وتريزا الألفية اعترفا بأن البداية تكون صعبة. يقول الأخ لوران: "هذا يتطلب ممارسة كبيرة لاستحضار الله فينا"، ثم يقدّم لنا النصيحة الآتية: "على المبتدئين أن يختاروا بعض الكلمات، مثل: "يا رب كلّي لك"، "إلهي أحبك من كل قلبي": أو غيرها من العبارات التي تخرج تلقائياً.

لدى بعضنا سيكون هذا التمرين صعباً جداً أو حتى مستحيلاً، لكن علينا أن نؤمن أنه موجود فينا و "أقرب إلينا من أنفسنا" كما يقول القديس أغوستينس".

٢ - ٢) حضور الله فينا يساعدنا على عدم ارتكاب الخطيئة

تحدثنا عن القداسة، فهل نتذكر كلمات يسوع على الجبل؟ "كونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم السماوي كامل" (متى ٥ : ٤٨). نستطيع إذن أن نقول: كونوا قديسين كما أن أباكم هو قدوس. فيسوع يعطينا أباه كمثل يحتذى به. كان يسوع يتمثل بأبيه: "نحن نعلم أننا نصبح عند ظهوره أشباهه لأننا سنراه كما هو" (يوحنا ٣ - ٢). وتقول القديسة تريزا: "إن السماء في داخلنا". لذا نستطيع منذ الآن أن نتأمل بالله. جميعنا يعلم حالة الانسراح التي تسكننا عندما نكون في حضرة شخص نحبه كثيراً وحبنا ونريد أن نتمثل به، أفلا ننتبه إلى حركاتنا وكلامنا؟ أفلا نقدم أحسن ما عندنا؟ فماذا نقول عندما يكون هذا الشخص هو الله نفسه؟ إذا شعرنا بنظرته العجيبة والشفافة، لا نستطيع أن نرتكب خطأ لثلاث نجرح شعوره.

هذا الحضور يجعلنا أقوياء مثل الصخر، كما يقول الأخ رولان: "علينا أن نجعل من قلبنا هيكلًا لله حيث نعبد في كل حين، وعلينا أن ننتبه كل الانتباه لثلاث نقوم بشيء يمقته".

جميعنا يعلم أنه من الصعب أن نصارع الخطيئة وجهاً لوجه؛ لهذا السبب علينا أن نتصور الله في قلبنا وبقرينا، وأن نلفظ كلمات تعبر عن فرحتنا ومحبتنا له. ولنتذكر أيقونة الثالوث التي تدفعنا للجلوس على مائدة الأقانيم الثلاثة.

نكون أقوياء كالصخر، لا يعني هذا أننا لن نقع في الخطيئة أبداً؛ فقوتنا ألا نفقد الثقة برحمة الله، وألا يتغلب حبنا الذاتي على حبنا لله، ونعرف أن الله سيغفر لنا ويسمح لنا أن نجلس من جديد على هذه المائدة. حتى – كما كانت تقول تريزا الصغيرة – أن نجلس في حضن الأب ونتعلق بعنقه كالطفل الصغير. دعونا نستمع من جديد إلى الأخ لوران "إني أشعر بجسامة خطاياي لكنها لا تخذلني، فأقولها جهراً لله دون تملق وبعدها أرجع إلى عملي العادي والسجود بكل محبة".

٢ – ٣) الصلاة في العمل

نظن أن هذا من الممكن تحقيقه لرهبان وراهبات الكرمل، أما نحن فنرى أن القيام بمثل هذه الأمور أمر صعب لا يمكن تحقيقه.

يقول مؤلف سيرة "لوران الكرمل" إنه كان يقوم بعمل شخصين اثنين، ومع هذا "لم نره يتسرع بعمله قط، بل كان يعطي كل عمل حقه دون بلادة وهدوء تام". فقبل أن يشرع هذا الراهب بعمل ما، كان يقول: "يا سيدي تعال واعمل معي، إن أعمالي لك ولك أيضاً عواظي". ثم يبدأ بالعمل وهو يتكلم مع الله. وعند انتهاء العمل كان يفحص ما فعله. فإن كان العمل جيداً كان يشكر الله، وإن لاحظ بعض الأخطاء، كان يطلب السماح ويجدد حضور الله.

كم من الوقت نستطيع أن نقضيه نحن مع يسوع؟ في المواصلات، على الحواجز، ونحن نحضّر الطعام أو نعتني بمريض أو طفل يقول لنا هذا الراهب: "قد استننا لا تعني تغيير عملنا، لكن علينا أن نقدم هذا العمل لله بدلاً من أن نفعله لأنفسنا.

٢ – ٤) يلهمنا الله ويوجهنا

رأينا مسبقاً أن روح الله يوجهنا، كما ورد في المزمور: "أنت تعلمني طريق الحياة". هذا ما اختبرته تريزا الطفل يسوع: "إني أفهم وأعرف من خلال خبرتي الشخصية أن ملكوت الله في داخلي. مع أنني لم أسمع يسوع يكلمني، لكنني متأكدة من أنه فيّ وهو يقودني ويهمني إلى ما عليّ فعله أو قوله. إني أكتشف عند الحاجة نوراً لم أحظه من قبل، هذا النور لا يشرق إلا نادراً عندما أتأمل وأصلي، لكنه ينيّرني مراراً في عملي اليومي" (سيرتها الذاتية).

٢ – ٥) حضور الله في محنتنا

إن الله حاضر في عذاباتنا. لقد سبق وقلنا إن القداسة هي العيش في حضرة الله واختبار العيش الهنيء بدون حدود. لكن هذا لا يعني أن حياة المسيحي خالية من العذابات. فعندما نظرنا إلى البابا يوحنا بولس الثاني،

رأيناه ممتلئاً صحة ونشاطاً في السنين الأولى من حبريته ثم تهاونت قواه وبدأت العذابات في حياته؛ رأيناه يبكي في "لورد"، ومع هذا لمسنا فرحاً داخلياً يعم قلبه، هو فرح حضور الله فيه واستلامه إلى مشيئته. كانت كلماته الأخيرة: "إني سعيد، هل أنتم سعداء؟"

"أليزابيت الثالث الأقدس كانت تقول "عندما نعلم أن الثالث الأقدس يسكن فينا لن نكون وحدنا أبداً". إن الأوقات التي نشعر فيها بالوحدة، هي التي نكون فيها مرضي، أو لدينا شعور بالضعف، أو العذاب، أو أننا مجروحون أو مهملون.

يواسينا الأخ لوران بقوله: "تشجعوا، قدموا منحكم لله واطلبوا منه القوة لتحمل العذاب، تعودوا على التكلم معه مراراً ولا تغفلوا حضوره فيكم، اعبدوه من خلال عذاباتكم، قدموا له أنفسكم، وعند العذاب الشديد اطلبوا منه بكل تواضع ومحبة بنوية أن يعطيكم نعمة خاصة لتساعدكم على تقبل مشيئته".

٢ - ٦) العمل مع الله

يسوع هو عمانوئيل، وهو ليس فقط معنا بل هو فينا. وإن كان فينا نحن، فنستطيع أن نعمل كل شيء معه. قال يوماً لإحدى الراهبات من عصرنا الحالي: "دعي نفسك تمتلئ مني، ولا شيء فيك يمنعني أن أستعين بك. إني أعمل من خلال الذين أسلموا ذاتهم كلياً لي. أعطيني صوتك ونظرك واطركيني أعمل ما أشاء لأنني صاحب المكان".

نواجه - أحياناً - حالات صعبة، كأن نلتقي مع أشخاص يهددوننا، فنشعر حينها بالوحدة. في مثل هذه الأوقات، علينا أن نتذكر الروح القدس الذي فينا كما يقول لنا القديس بولس في رسالته إلى أهل أفسس: "ذلك الذي يستطيع، بقوته العاملة فينا، أن يبلغ ما يفوق كثيراً ما نسأله أو نتصوره" (أفسس ٣: ٢). هذه الكلمات العظيمة! فلنضع كل طاقتنا تحت تصرف سيدنا يسوع المسيح، ولنبدأ بخدمته بحرارة، وفي الوقت عينه دعونا نعطيه كل الحرية ليعمل ما يشاء؛ لأنه يسكن فينا وهو صاحب المكان.

٣) حضور الله والمناولة الإفخارستية

جعل يسوع نفسه خبزاً لناأكله، وبهذا هدم كل الحواجز والمسافات التي كانت تفصلنا عنه. قد نعتبر أن هذا جنون لكن هذه هي الحقيقة.

في رسالته "ابق معنا يا رب" كتب يوحنا بولس الثاني: "طلب تلميذاً عمواس من المسيح أن يبقى معهما، وقد أجاهما بنعمة أكبر مما توقعاه، فهو أراد أن يبقى فيهما من خلال سر الافخارستيا" (MND § 19). "وفي المناولة نحصل على المسيح كاملاً، بجسده ودمه ونفسه ولاهوته" (CEC 1374)، "ويسوع هذا هو حي" (CEC 1392). نحن نعلم أن الإفخارستيا تُقيت حياة النعمة فينا، لكنها تدفعنا إلى الاختبار بطريقة محسوسة حضور الثالث فينا، يضاف إلى هذا الحضور، في كل مرة نتناول فيها جسد الرب، حضور يسوع الحقيقي. أليس هذا مذهلاً؟!

٤) حضور الله فينا والسجود له

كيف نوفق بين سجدتنا للقربان المقدس وحضور الله فينا في الوقت ذاته؟

هذه ليست مشكلة، لأننا عندما نسجد ليسوع الموجود جوهرياً في القربان المقدس نسجد ليسوع الموجود روحياً فينا في الوقت نفسه. خذوا مثل الإسفنجة الجميلة التي تعيش في البحر. فهي في الماء والماء يملؤها. "اثبتوا في وأنا فيكم". السجود هو الوقت الذي تشتمل فيه محبة الله على أنفسنا من الخارج ومن الداخل. لتذكر مثل الإسفنجة، إذا تقوقعنا على أنفسنا، لا تنعشنا محبة الله المقدمة لنا. فعلينا أن نفتح قلوبنا على مصراعها ونسلم أمرنا بكل ثقة لله، ونؤمن بقوته الخلافة. دعونا نمتلئ من محبة الله حتى تطفح محبته فينا ونستطيع مشاركة الغير معنا. علينا ألا ننسى أن يسوع وعدنا بينوع ماء حي كما قال للسامرية.

٥) بعض النصائح للسجود

سنسجد معاً الآن. عندما نصمد القربان، دعونا نرسم إشارة الصليب متذكّرين حضور كل أقنوم من الثالوث الأقدس فينا. ثم لننظر إلى يسوع الموجود جوهرياً في القربان الأقدس ونسلم عليه بكلمات بسيطة، لنقل له إننا محظوظون لأننا في حضرتك. يمكننا أن نردد بعض الابتهالات، مثل: "أيها الأب والابن والروح القدس الموجودون فيّ، إني أسجد لكم وأعبدكم".

ليس من الضروري أن نجاهد كثيراً لأن إيماننا بحضور الله كاف.

لنركز الآن على يسوع في القربان الأقدس. إذا تشبعت أفكارنا، فعلينا أن نعيدها إلى حضور يسوع الذي أمامنا بكلمات بسيطة، كأن نقول: "يا يسوع أنت موجود حقيقة في القربان المقدس، إني أسجد لك".

لكن ليس من الضروري أن نستعين دائماً بالكلمات. في بعض الأحيان قد لا نجد الكلمات التي تساعدنا على التعبير أو بعض الأفكار التي قد تتولد فينا. علينا أن نبقي صامتين بقرب يسوع مثل معشوق بجوار عاشقيه. حتى لو لم نشعر بشيء، فيسوع موجود هنا. هو موجود على المذبح وهو موجود فينا أيضاً. في حياتنا العملية عندما نحاول أن نعيش في حضرة الله الموجود فينا، نادراً ما نشعر بهذا الحضور، لكن إيماننا سيساعدنا على أن نتكلم معه بمحبة.

هكذا، ما نعيشه في وقت السجود، يمكن أن يستمر في حياتنا اليومية.

علينا أن نلعب دور مرثا تارة ومريم تارة أخرى. سنعمل عملنا بشكل متقن كما كانت تعمله مرثا. ومثل مريم سنكون عند أقدام يسوع وسنؤكد له حبنا بكلمة أو بنظرة حب.

لا تظنوا أننا نستطيع البقاء في حضرة الله باستمرار. لذلك سنعمل كمن يعبر جدول ماء، فهو ينتقل من حجر إلى آخر. وهذا الحجر هو مجموعة الثواني

التي نستطيع فيها البقاء مع يسوع، هذه الحجارة ستكون متقاربة أكثر فأكثر، حتى نصبح قادرين على رؤيته وجهاً لوجه، و "إننا نصبح عند ظهوره أشباهه؛ لأننا سنراه كما هو".

اللقاء العاشر

سيدتنا مريم العذراء

مقدمة

حان الوقت لأن نتكلم عن أمنا مريم العذراء، أم سيدنا يسوع المسيح. فقد التقيناها عدة مرات ونحن نكتشف ثروة القربان الأقدس.

ذكر لنا البابا يوحنا بولس الثاني في كتاباته "أن مريم العذراء موجودة معنا في كل احتفالاتنا الإفخارستية؛ لكونها أم الكنيسة... لهذا السبب تذكر جميع الليتورجيات - الشرقية والغربية - مريم العذراء في الاحتفال الليتورجي منذ القدم" (EE § 57). مريم امرأة إفخارستية في حياتها بأكملها. والكنيسة مدعوة للنظر إلى وجه مريم، فهي المثال الذي يحتذى، ونحن مدعوون إلى الاقتداء بها في علاقتها بهذا السر المقدس (EE § 53). وهذا ما نرغب في أن نفعله هذا اليوم.

(١) يسوع في هذا اليوم يقدم لنا أمه

يخاطبنا في القداس الكاهن قائلاً: "افعلوا هذا لذكري" (لوقا ٢٢ : ١٩). "في ذكرى الجلجلة، نجد كل ما قام به المسيح في آلامه وموته، حتى أنه قدم لنا أمه أماً لنا" (EE § 57). يشهد لنا يوحنا الحبيب الذي كان واقفاً إلى جانب الصليب بقوله في إنجيله: "هناك عند صليب يسوع، وقفت أمه... فرأى يسوع أمه وإلى جانبها التلميذ الحبيب إليه. فقال لأمه: "أيتها المرأة هذا ابنك".

ثم قال للتلميذ: "هذه أمك". منذ تلك الساعة اصطحبها التلميذ إلى بيته" (يوحنا ١٩ : ٢٥ - ٢٧). لم يقل يوحنا إلا الحقيقة، حتى عندما لقب نفسه بالتلميذ الحبيب.

يقول البابا يوحنا: "يفترض أيضاً أن نقبل هذه الهبة بشكل مستمر، كما يفترض أن نأخذ إلى خاصتنا، كما فعل يوحنا، تلك التي تعطي لنا، أماً كل يوم" (EE § 57).

هذا التلميذ الحبيب هو كل منا. نحن نعلم أن العذراء مريم ويسوع يحب كل منهما الآخر حباً لا يوصف، فهذه المحبة تجعلهما واحداً؛ لهذا السبب فإن تلميذ يسوع هو تلميذ مريم. وبقرب الصليب أصبحنا جميعاً أولاد مريم؛ لأن المسيح وعدنا بقوله: "لن أترككم يتامى" (يوحنا ١٤ : ١٨)؛ لذلك أعطانا أمه، أماً لنا. فهي التي قبلتنا أولاً، وكأنها قالت ليسوع: نعم، إني أتبنى كل إنسان على وجه البسيطة. فقد حضنتنا جميعاً حتى قبل أن نقبلها.

على مثال يسوع هي تتركنا أحراراً، وتستقبلنا فاتحة يديها تنتظر كل من أراد أن يأتي إليها بكامل حريته. وهي على علم بمدى الصعوبة التي قد يواجهها بعضنا، خاصة أولئك الذين لم يحضوا بأمٍ مُحبّة مثلها، أو الذين تأثروا بتجارب أبعدتهم عن حبا. فهي أم صبورة، وهي دائماً في انتظارنا.

في وقت السجود، دعونا نطلب من يسوع أن يعلمنا كيف نحن امه، وهو سيقوم بذلك على طريقته الخاصة وبكل صبر.

لنتصور حب مريم لابنها يسوع؛ فهي ستمنحنا مثل هذا الحب. لنتخيل نظرتها إلى هذا الطفل الذي تحمله نائماً بين ذراعها ... لنتأمل تلك اللطافة التي كانت ترضعه بها، وتلبسه وتعني به. إن العذراء مريم تنظر إلينا بالحب نفسه.

وهي، كما اعتادت عليه الأمهات في بلادنا، تصطحب ولدها في وقت عملها ليكون دائماً معها ... من المتوقع أنها كانت تتلوه المزامير أثناء قيامها بتنظيف البيت ومنجرة يوسف ... وعندما بدأ يسوع يعلم، كانت موجودة في بعض الأحيان بقربه، كما في عرس قانا الجليل. ونحن نعرف أنها هي التي طلبت من يسوع أن يقوم بأول أعجوبة. وهكذا بدأ يسوع حياته العلنية التي ستنتهي بالصليب حيث كانت مريم واقفة بقربه؛ ففي الوقت الذي تركه الرسل والتلاميذ وتخلوا عنه، كانت هي وفيّة حتى النهاية. والرمح الذي فتح قلب يسوع، فتح جرحاً في قلب مريم جعلها تتألم كثيراً.

هذه هي الأم التي أعطانا إياها يسوع، أعطانا إياها كي تفعل معنا ما فعلته معه؛ أي أن تكون أمّاً لنا، أن تكون معنا عندما نكون فرحين، وعندما نكون مرضى، وتعين أو مهمومين. هي التي نلجأ إليها كل حين، وهي التي لا تحاسبنا أبداً حتى لو خطئنا.

لكن في الوقت نفسه الذي به يعطينا يسوع أمه، يطلب منا أن نقبلها عندنا؛ أعني أن نشكرها في حياتنا بكل احترام ومحبة. يسوع يطلب منا أن نتعلم منه كيف نحب مريم، فهو يقول لنا: "أنا أعطيك أمي فالآن هي أيضاً أمك، اقبلها في بيتك وأشركها بأعمالك ومحبتك. اتبع تعليماتها، واتركها توجهك وتواكبك" (EE § 57). سلمتكم إليها، فهي الطريق الأمين لتعرفني وتحبني".

٢) صلاة "السلام عليك يا مريم"

بمساعدة البابا يوحنا بولس الثاني سنتأمل سوياً صلاة "السلام عليك يا مريم" طالبين من الله أن يعلمنا كيف نحب مريم العذراء.

٢ - ١) السلام عليك يا مريم

في أول كلمات هذه الصلاة تدعونا الكنيسة لأن يكون لنا لقاء شخصي مع العذراء مريم، بنت الناصرة. كما حياها الملاك جبرائيل في بيتها، فإننا نحيتها أمّاً لنا وهي حاضرة الآن أمامنا، وتصغي إلينا وتنظر إلى كل واحد منا؛ لأنها تحبنا.

٢ - ٢) يا ممتلئة نعمة

"يدعوننا الجزء الأول من هذه الصلاة للتأمل والسجود للسر العظيم الذي يكتمل في مريم. الكلمات تدل على ابتهاج السماء والأرض، وكأن الله نفسه في اندهاش كبير أمام هذا العمل العظيم، أي تجسد ابنه في أحشاء العذراء مريم (RVM § 33).

عندما أقول: "يا ممتلئة نعمة"، فإني أعيد كلمات الملاك عندما بشر العذراء مريم. ألا تلاحظون أن الملاك لم يدعها باسمها، بل بهذا الاسم الجديد "الممتلئة نعمة"؟

فلنتأمل قليلاً حب الثالوث لمريم! فهي في الوقت نفسه بنت الآب وعروس الروح القدس وأم يسوع. وهذا الاختيار كان من الأزل. ولهذا السبب افتداها يسوع منذ أن حملت بها أمها.

"بنعمة خاصة، بقيت العذراء بلا دنس كل أيام حياتها" (CEC § 493).

فالله اصطفاها وهياها لهذا الحدث العجيب، وهو اتحاد طبيعة الله الإلهية مع طبيعتها الإنسانية داخل أحشائها. وبنعمة من الله أصبحنا نحن شركاء في الطبيعة الإلهية، وبذلك أصبحنا أولاد الله.

٢ - ٣) الرب معك

هذه الكلمات تمت نبوءة أشعيا: "ها إن الصبيّة تحمل فتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (أشعيا ٧: ١٤)، عمانوئيل يعني الله معنا. وفي كل مرة نقول لمريم "الرب معك" نذكر أيضاً أنه معنا، بجانبنا، ولن يتركنا أبداً.

٢ - ٤) مباركة أنت بين النساء

ما معنى "مباركة"؟ نلفظ هذه الكلمة مراراً دون أن نفهم عمق معناها.

يقول لنا كتاب "التعليم المسيحي": "أن البركة هي عمل إلهي يعطي الحياة من لدن الآب" (CEC § 1078-82). فعندما نقول إن الله يباركنا، نعني أن الله يعطينا الحياة. عندما استقبلت أليصابات مريم قائلة لها: "مباركة أنت بين النساء"، كانت تعني بذلك وبإلهام من الروح القدس عطاء الحياة الإلهية الكاملة لمريم. وقد أدركت مريم، وهي ممتلئة بهجة، أن هذه البركة ستُمنح لكل الخلائق بواسطة يسوع المسيح؛ لذا قالت: "سوف تطوبني جميع الأجيال".

نعم، إن مريم مباركة بين كل النساء؛ لأن الله اختارها لأن تكون أمّاً ليسوع ابن الله الحي. هي المختارة، فضلها على كل النساء. ومن خلالها بارك البشرية.

٢ - ٥) ومباركة ثمرة بطنك يسوع

كل مرة نردد فيها هذه الجملة، نلفظ اسم يسوع الذي هو محور هذه الصلاة. هذا الاسم كما يقول لنا القديس بطرس في رسائله هو أعظم اسم: "لأنه ما من اسم آخر تحت السماء، أطلق على أحد الناس، ننال به الخلاص".

فنطلب من العذراء مريم أن نلفظ هذا الاسم بنفس المحبة التي كانت هي تلفظه.

ثم نقول: إن يسوع هو ثمرة بطن مريم، وهذه عقيدة إيمانية. يسوع الذي نتناوله "هو نفسه الذي حملت به العذراء مريم" (EE § 56). عندما سألت العذراء الملاك "كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟! أجاب الملاك: "إن الروح القدس سينزل عليك وقدرة العلي تظلك؛ لذلك يكون المولود منك قدوساً وابن العلي يدعى" (يوحنا ١ : ٣٥). فنرى هنا كيف أن الثالوث الأقدس يعمل في تجسد الكلمة.

جاء في كتاب التعليم المسيحي: "إن الروح القدس أتى ليقدم أحشاء العذراء مريم ويظللها؛ كي يتجسد ابن الله فيها، ويولد من جسمها (CEC § 485). وهذا ما أكدته الملاك للقديس يوسف لاحقاً: "لا تخف أن تأتي بامرأتك مريم إلى بيتك، فإن الذي كَوّن فيها هو من الروح القدس. ونحن نؤمن مع الكنيسة جمعاء أن يسوع هو ابن الله الحيّ".

٢ - ٦) يا قديسة مريم يا والدة الله

أكد مجمع أفسس سنة ٤٣١م وبشكل احتفالي أمومة العذراء مريم، كعقيدة إيمان، وأكد أن العذراء هي أم الله؛ لأن الروح القدس حل عليها وحملت في أحشائها البتولية، وولدت يسوع المسيح ابن الله المساوي للآب في الجوهر (RM § 4).

فإيمان مريم هو الذي مكّنها من أن تصبح أمّ الله. آمنت، هي الصغيرة والخادمة المتواضعة، أنها محبوبة من الله حتى أضحت "مختارة" الآب وام ابنه. فكل كيان العذراء مشمول في هذه الحقيقة الأساسية: إني محبوبة من الله".

فنطلب من مريم العذراء أن تعلمنا كيف نؤمن، وكيف نقدّر محبة الله لنا. فهي لم تمنع عنا هذا الحب بأي شيء؛ لأن مريم هي ذلك الإناء المفتوح لتلقي نعمة الله بقلب مفتوح، وهذه النعمة هي المسيح نفسه. وهي بإجابتها "أنا أمة الرب" قبلت مشيئة الرب ومحبته لها، حتى قبل أن يأخذ يسوع جسده منها. لا توجد أم تشبه أم يسوع، فهي أجمل خلائق الله.

يقول البابا يوحنا: إن مريم الحامل بيسوع هي "أول بيت قربان في التاريخ (EE § 55)". فهنالك إذن تشابه عميق بين كلمة "هاأنذا" التي قالتها مريم في البشارة، وكلمة "أمين" التي يقولها المؤمن قبل أن يتناول جسد المسيح.

فقد طلب الروح القدس من مريم أن تؤمن؛ لأن من تقبله في أحشائها الطاهرة هو ابن الله. ونحن يُطلب منا أن نؤمن بأن من قبله في القربان هو - حقاً - ابن الله، بجسده ودمه الحقيقيين (EE § 55).

عندما نتناول، فلنطلب من العذراء مريم أن تأتي وتستقبل معنا ابنها الحبيب، كما نطلب منها أيضاً أن تؤمن، كما آمنت هي يوم البشارة. فقد أصبحنا بيت قربان مثلها، فلنطلب منها أن تمنحنا بهجتها، تلك البهجة التي شعرت بها عندما حملت بابن الله طفلاً.

يذكر البابا يوحنا بولس الثاني: "قبولها جسد المسيح القرباني كان يعني، بالنسبة لها، قبول من كان قلبها ينبض على غيقاع قلبه (EE § 56). فلنطلب من العذراء مريم أن تعلمنا كيف تتناغم دقات قلبنا مع دقات قلب يسوع الموجود فينا.

٢ - ٧) صلي لأجلنا نحن الخطاة

كم مرة سمعت العذراء مريم هذه الصلاة من المسيحيين في العالم! إنهم يلجأون إليها بكل ثقة. قال القديس برنارد: "اذكري أيتها العذراء القديسة أنه لم يُسمع قط أن أحداً من الذين التجأوا إليك بات خائباً..." فالعذراء مريم لم تترك يسوع وحده على الصليب، كذلك لن تتركنا نحن أبداً؛ إنها أم الرحمة، أم يسوع، بل هي الرحمة عينها.

نعم، هي أم الرحمة "لأنها هي التي تعرف سر الرحمة الإلهية بشكل أكثر عمقاً من أي شخص آخر؛ لأنها عرفت الثمن الغالي الذي دفعه يسوع ابنها على الصليب ... فعلمها أن تقرب الإنسان من هذا السر بلباقتها الأمومية... وتمنح محبتها، خاصة للذين يتألمون (Dives in Misericordia § 9).

فمريم العذراء هي أم حقيقية، تعرف كل شيء عنا، أفراحنا وأحزاننا.

ألا تذكرون أعجوبة قانا الجليل؟ هي التي لاحظت أن الخمر قد نفذ. ألا تلاحظ هي أيضاً أتعابنا ومشاكلنا وتهرع إلى مساعدتنا؟ ثم تلتجئ ليسوع لتقول لنا: "افعلوا ما يقوله لكم".

في الحقيقة نحن كلنا خاطئون، لكننا نستطيع أن نلجأ لمن آمن برحمة الله.

وفي السماء أيضاً تتشفع لنا. إنها تؤثر في قلب الله لأنها كلها ثقة بمحبته لنا. نستطيع أن نضع بين يديها كل نيات صلواتنا، أكانت لنا أم للآخرين أم للعالم أجمع.

٢ - ٨) الآن وفي ساعة موتنا

"الآن": عند بدء هذه الصلاة، ذكرنا أننا نطرح السلام على العذراء التي هي أمامنا، وليس هذا سلاماً لشخص غائب من الماضي؛ هي حاضرة بقربنا كل مرة نسلم عليها. ونحن نعلم أن ليس عند الله ماضٍ ومستقبل، بل حاضر. هو في هذا الوقت معنا؛ الماضي لا نستطيع أن نغيره، والمستقبل لا علم لنا فيه. الوقت الوحيد الذي نستطيع أن نعمل فيه هو الحاضر.

كثيراً ما نعيش في الماضي، ونأسف على ما فات ونقول إنه كان من الممكن أن نتصرف بطريقة أفضل. هذه الذكريات تشوش أفكارنا، أو تدفعنا لأن نعيش في المستقبل خائفين. فالماضي والمستقبل يبعدانا عن الحاضر الذي هو أمام أعيننا.

عاشت مريم حاضرها بطريقة مثلي. فقد وعدنا يسوع: "أما أنا فقد أتيت لتكون الحياة للناس وتفيض فيهم" (يوحنا ١٠: ١٠). هذا الفيض من الحياة، الذي وعدنا به يسوع، يريد أن يعطينا إياه في الوقت الحاضر.

تقول القديسة تريزا الآفلية: "الذي يعيش في الحاضر يعيش مع الله، لذا فالذي يعيش في الحاضر يحصل على كل شيء. فالوقت الحاضر يكفيننا ولا شيء يزعجنا". أحياناً نقول لأنفسنا: "لو كانت حالتي مختلفة، لكنت سعيداً، ولتمكنك من أن أعمل كذا وكذا، ولكنت مسيحياً أفضل..." لكن الله أوجدنا في عائلة معينة، في بلد معين، في بيئة معينة. سمح لنا أن نعمل عملاً معيناً، أن نتطلع إلى مستوى عيش معين، أن نسعى نحو ثقافة معينة؛ ففي هذه الحياة يريدنا وينتظرنا، وفي هذه الحالة من المعيشة يريد أن يلتقي بنا ويريدنا أن نلتقي بإخوتنا.

"تفيض بهم الحياة"؛ أي أن نعيش مثل مريم، في كل دقيقة من وقتها بحضرة الله وأن نملأها بالحب. أن نسعى لعمل كل ما علينا من واجبات، مجدداً لله ومحبة له وللآخرين الذين يحيطون بنا. وبما أن العذراء كانت تعيش في الحاضر، فقد كانت تنبته إلى كل شيء من حولها، وإلى كل خدمة تستطيع أن تقدمها للآخرين. عرس قانا الجليل هو مثل لهذا الانتباه.

فلنطلب من العذراء مريم أن تعلمنا كيف نعيش في الحاضر، وكيف نعمل في الوقت الذي أعطي لنا، وكيف نكون منتمين غلى ما حولنا.

"وفي ساعة موتنا" هذا أمر يقع في المستقبل. وكل آت قريب. والقريب سيصبح حاضراً. لهذا يجب علينا أن نكون مستعدين من الآن بمساعدة العذراء مريم إذا كنا نعتبر أن كل لحظة في حياتنا هي ثمينة؛ إنني أسير نحو لقاء مع الله.

إذن عندما يأتي الموت، سنرى الله وجهاً لوجه، هو الذي يحبنا ونحبه. نحن نصلي للعذراء مريم؛ كي تساعدنا عندما تأتي هذه الساعة، فنرى حياتنا بحلوها ومرّها، بجمالها وقذارتها؛ كي تشفع لنا؛ فهي أم الرحمة، وتساعدنا على أن نؤمن برحمة الأب. نصلي لكي نلقي بأنفسنا بين ذراعي الأب الرحيم بكل ثقة.

٣) بعض النصائح للسجود

سنبدأ بالسجود الآن متخذين من العذراء مريم مثلاً يحتذى، "فهي المثل الأعلى للتأمل بالمسيح" (RVM § 10). ما هو السجود؟ أليس هو التأمل في وجه المسيح؟

يمكننا أن نطلب من العذراء مريم أن تعلمنا الإيمان بحضور ابنها يسوع والنظر إليه بحب، والتكلم معه بفرح. فعندما نكون أمام القربان المقدس علينا أن نتخيل العذراء مريم تنظر إليه في هذه البرشانة. كيف تكون عواطفها؟ أفكارها؟ تصرفاتها؟ لتتخيل مثلاً "نظرة مريم المتأملة في ابنها المولود حديثاً، والذي تحتضنه بين ذاعها. أليس ذلك مثلاً للمحبة الفريدة التي يجب أن تتجلى في كل جماعة إفاخرستية؟" (EE § 55).

لهذا التأمل، عرضت علينا الكنيسة طريقة متميزة، ألا وهي التأمل بأسرار الوردية. سنة ٢٠٠٢م ذكرنا بذلك البابا يوحنا بولس الثاني قائلاً: "إن صلاة سهلة وغنية مثل هذه تستحق أن تكشفها الجماعة المسيحية من جديد؛ لأنها تحمل ثمار القداسة" (RVM43 § 1). فالوردية تحتوي على كل الرسالة الإنجيلية، وكأنها ملخص لها.

مع هذه الصلاة يتلمذ الشعب المسيحي للعدراء، كي يتأمل جمال وجه المسيح وحبه العميق له من خلال اختبار الحياة (RVM § 1). "وهي طريقة تركز على الممارسة.

هي التعبير عن هذا الحب الذي لا ينفك يلتفت نحو الشخص المحبوب ليقول له إني أحبك. كما سأل يسوع بطرس ثلاث مرات "أتحبنى؟". هكذا نكرر "السلام عليك يا مريم" مخاطبين العذراء مريم، مجددين محبتنا ليسوع، لأننا نريد أن نتشبه به أكثر فأكثر" (VMR § 26).

في هذه الوردية نتأمل أسرار الفرح والنور، الحزن والمجد. وقبل كل بيت من سبحة الوردية نذكر الأسرار وما تتضمنه، "هذا يوجه خيالنا وفكرنا إلى مرحلة من حياة يسوع. كان القديس "أغناطيوس لويولا" يحثنا على أن نتخيل المكان والزمان للأسرار ليساعدنا على التأمل فيها، فمن خلال هذه التمارين الواقعية نستطيع أن ندخل إلى عمق الأسرار الإلهية" (RVM § 29).

أمام القربان، نستطيع أن نتصور يسوع في كل سر من هذه الأسرار. هو موجود هنا في القربان المقدس، لكننا نستطيع، بمخيلتنا، أن نراه ونسمعه. نراه في أحشاء العذراء مريم أو مولوداً جديداً، أو على الصليب، أو في كرازته للجموع.. نحن معاصرون لوقتنا الحاضر فقط. لكن الله يعيش دائماً في الحاضر لأنه أبدي. لذلك كل حياة يسوع هي حاضرة أمام الله، وهي أمامنا مثلما هو في القربان المقدس الذي نعبد. فهو في المغارة كما هو على الصليب. فإذا كنا وحدنا، يمكننا أن نتذكر السر الذي نختاره، ثم نقرأ ونفكر كيف عاشه يسوع.

ونبدأ بتلاوة بيت من المسبحة ونحن ننظر إلى السر ونتأمله. ننظر إلى يسوع مع العذراء مريم ونحبه معها. وبكل تأكيد نحن نوجه صلاتنا للعذراء مريم، لكن في الحقيقة نتأمل بيسوع مع العذراء مريم، فهي تعلمنا كيف نعرفه جيداً ونحبه أكثر.

اليوم سنبقى صامتين، وكل واحد منا سيختار سراً من الأسرار أو أكثر حسب ما يرغب في التأمل فيه. ثم نصلي المسبحة الوردية بكل هدوء. ليس المطلوب هو أن ننهي الوردية، بل أن نترك الرب يوصلنا إلى التأمل بحضوره معنا.

من خلال هذا التأمل بالمسبحة الوردية ستتحقق فينا طريقة الصلاة التي تكلم عنها القديس بولس في رسالته إلى أهل أفسس: "أن يقيم المسيح في قلوبكم بالإيمان، حتى إذا ما تأصلتم في المحبة وأسستم عليها، تستطيعون أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعلو والعمق، وأن تعرفوا محبة المسيح التي تفوق كل معرفة، فتمتلئوا بكل ما في الله من كمال" (أفسس ٣: ١٧ - ١٩).

لم يفهم أحد من القديسين عمق محبة المسيح مثل مريم. إن فهمها ليسوع، يفوق فهم كل البشر. ومع هذا فهي التي ستساعدنا على أن نتبع المسيح يسوع، وتعلمنا كيف نرد له محبته لنا. فلنفتح أبواب قلوبنا على مصراعها لنستقبل مريم فيها.

اللقاء الحادي عشر

قلب يسوع الأقدس والإفخارستيا

مقدمة

سنتناول اليوم أهمية العبادة لقلب يسوع الأقدس. رأينا مراراً صورة قلب يسوع، مكللاً بالشوك محاطاً بألسنة من نار. وعرفنا كنائس وأخويات تحت هذا الإسم. فماذا يعني قلب يسوع الأقدس؟

(١) رمز القلب

في عيد الحب، نجد في حوانيت الباعة قلوباً من كل الأصناف، وجميعنا يعلم أنها تمثل الحب على أنواعه. فالقلب هو رمز غني جداً؛ لأنه محور الحياة في الإنسان. فهو لا يمثل العاطفة فقط، وإنما يعتبره الكتاب المقدس مركز الإرادة والتفكير والمعرفة.

إن القلب هو المكان الذي يلتقي فيه شخصان، وهو أيضاً مركز ملتقي الله والإنسان. يقول القديس أغوستينس: "إن الله أقرب إلى قلبي من نفسي"، وهذا يعني أن الله موجود في قلوبنا. "فهو في وسط ذاتنا، دون أن يختلط بها" (Père Pascal Ide). وفي رؤيا يوحنا يقول لنا يسوع: "هاأنذا واقف على الباب أقرعه، فإن سمع أحد صوتي وفتح الباب دخلت إليه وتعشيت معه وتعشى معي" (رؤيا ٣ : ٢٠).

من داخلنا يدق هذا الباب، يدق باب عاطفتنا وعقلنا الذي يمكنه أن يتخذ الإجراءات اللازمة بكل حرية. وإذا فتحنا باب قلبنا فإنه سيدخل، ويتعشى معنا ونحن معه، كما وعدنا. وكما نعلم، فإن العشاء هو صورة المحبة والوفاق. به نصبح عائلة واحدة، ملتفة أعضاؤها الواحد حول الآخر بقوة المحبة.

ورد في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية بأن يسوع أحبنا "بقلبه الإنساني" (CEC 478)، ومريم هي أول من أحس بهذا اللقب الحي.

فلو عاشت العذراء مريم في وقتنا الحالي، لا استطاعت أن ترى بعينها هذا القلب النابض، وقد سمعت دقاته التي تتميز عن دقات قلبها. نحن نعلم أننا عندما نتكلم عن قلب يسوع، لا نتكلم عن قلبه المادي، لكننا سنتعلم بعض الأشياء عن هذا القلب المادي، فهو الذي يعطي الحياة للجسم كله. وكما نعلم، فهو الذي يضح الدم في الجسم كله، ثم يعيد ما فسد منه إلى الرئتين ليتخلص من غاز الكربون، وينعشه الأوكسجين، ليضخه من جديد لأعضاء الجسد كله.

أليست هذه العملية هي رمز لما فعله يسوع على الصليب؟ نقول قبل المناولة: "يا حمل الله الحامل خطايا العالم، ارحمنا ... امنحنا السلام". يسوع، برحمته، يمحو خطيئة العالم، حاملاً عنا هذه الخطيئة، ثم يبذلها بالأسرار، بسلامه ومحبه وحياته الإلهية.

في الإفخارستيا يعطينا حياته - حقيقة - ليحيي الكنيسة. يقول الكاهن في مقدمة عيد قلب يسوع الأقدس: "من جنبه الطعين، أفاض دماً وماءً، كي تنبع منه كلُّ أسرار الكنيسة المقدسة (العماد والإفخارستيا)؛ حتى

إذا ما جُذِبَ البشر بأجمعهم إلى قلب الفادي الرحيم، نهلوا دوماً من ينابيع الخلاص مبتهجين". هذا النبع المنعش للخلاص الذي يملؤنا سروراً وبهجة، هو الروح القدس نفسه "الذي ينبثق من المسيح المصلوب مثل الماء من النبع" (CEC 694).

٢) يسوع الحلو، المتواضع القلب

تكلم يسوع مرة واحدة فقط عن قلبه في الإنجيل المقدس، وبالتحديد في إنجيل متى: "تعالوا أليّ جميعاً أيها المراهقون والمثقلون وأنا أريحكم. احملوا نيري وتعلمذوا لي فأني وديع ومتواضع القلب، تجدوا الراحة في أنفسكم؛ لأن نيري لطيف وحلمي خفيف" (متى ١١: ٢٨ - ٣٠).

أول كلمة يقولها لنا هي "تعالوا إليّ" لكن هذا الكلام يخيفنا أحياناً، لأننا نساءلاً أنفسنا: ما هو الجهد الذي سيطلبه منا؟ أو ماذا يريدنا أن نتخلى عنه؟ لأننا نعلم كلامه: "من لم يحمل صليبه ويتبعني، فليس أهلاً لي" (متى ١٠: ٣٨). لكن هذا الصليب الذي يخيفنا، هو جزء من حياتنا، وكل منا يحمله، مسيحياً كان أم لا. فعندما يقول لنا يسوع إن نيره خفيف، فهو لم يتكلم عن قوانين العهد القديم، بل عن نير المحبة الذي يجمعنا به، مثلما هذا النير يجمع البقر للحراثة. وهذا كان يسهّل العمل؛ لأن هذه الأبقار كانت تتشارك في الحمل، فيخف عنها حمل هذا النير.

هذا لا يعني أن كل شيء سيصبح سهلاً، ستبقى مشكلاتنا هي هي، كالأمراض والبطالة ونقص المال ... ستبقى مشكلات الرسوب في الامتحانات، ومشكلات الأولاد الذين ينحرفون عن الطريق الصحيح. لكن سنعيش هكذا، ونحن واثقون بأن الله موجود معنا، كما كان يقول للقديسة فاوستينا: "أنت لا تكونين وحدك؛ أنا دائماً بقربك، أنت مضمونة إلى قلبي، فلا خوف عليك من شيء".

٢ - ١) التواضع

"تعالوا إليّ" هذه صرخة ترحّ يطلقها يسوع لأنه يريد أن يعلمنا كيف نجد الراحة لنفوسنا، إذا ما تبعناه. فهو يقول لنا: "أنا المعلم الوضيع والمتواضع القلب". وهذا هو ما أريد أن أعلمكم إياه".

نستطيع القول إنه لا حظاً لنا، لأننا في هذه الناحية ضعفاء جداً. أريد أن أكون وديعاً ومتواضعاً، لكنني أرى نفسي في أغلب الأوقات متعجرفاً، قليل الصبر، عنيفاً، وعدوانياً. فيقول لنا يسوع: "إني عارف أنك هكذا، لكنني أنتظرك كما أنت، لأنني أحبك".

دعونا نتذكر ما قالته الأم تريزا في وصيتها: "يا أولادي لا حاجة لكم لأن تكونوا مميزين لكي يحبكم يسوع، تذكروا فقط أنكم أصحاب مكانة رفيعة عنده. قدموا له عذاباتكم وافتحوا قلوبكم لكي يحبكم كما أنتم، وهو يتكفل بالباقي".

كيف يمكننا أن نخاف من شخص وضيع! لقد أخبرتكم كلكم بهذا.

عندما نتعامل مع شخص وضيع ومتواضع، نرى أنه يثق بنا، ويقبلنا كما نحن. وهذا يشجعنا على أن نعمل بأحسن ما نستطيع. فإن كانت الكبرياء والعنف مُعديين، فكذلك التواضع والوداعة. أما الوداعة والتواضع

تذوب الكبرياء والعنف كالثلج عندما تشرق الشمس. فكم بالحري أمام نور المسيح؟ فلنطلب من يسوع، الوضيع المتواضع القلب، في كل مرة نشعر فيها بالكبرياء، أن يكشف كل الجراحات التي نحملها من جراء هذا التكبر والإهانات التي تمنعنا من التسامح.

قال كاهن فرنسي قديس: "إن المتواضع يشبه حبل المسبحة؛ فإن انقطع هذا الحبل تناثرت منه الحبوب. وهكذا إذا توقف التواضع، تبددت جميع الفضائل". إن فضيلة التواضع لا تكتسب بشكل نهائي. "لنكتسب قليلاً من التواضع، وعلينا أن نحتمل إهانات كثيرة". لا بدّ من أن نتحمل، بكل رضى، هذه الإهانات، لنصبح متواضعين.

فإذا تتلمذنا ليسوع، سنصبح ودعاء ومتواضعين من خلال معرفتنا به وبتعاليمه. فهو يعلمنا التواضع، عندما نكون ساجدين أمامه. جميعنا يعرف هذه العبارة التي نرددتها أحياناً: "يا يسوع الوضيع والمتواضع القلب، اجعل قلبنا مثل قلبك".

يقول مؤسس جمعية العمانوئيل (Pierre Goursat): "إن هذه الوداعة والتواضع تُكسبان وقت السجود؛ آنذاك يتكلم يسوع معنا، فرداً فرداً، ويعلمنا بكل هدوء، مثلما كان يتكلم مع أمه العذراء مريم".

قال يسوع لرسله: "لا أدعوكم خدماً بعد اليوم، لأن الخادم لا يعلم ما يعمل سيده. فقد دعوتكم أحبائي لأني أطلعتكم على كل ما سمعته من أبي" (يوحنا ١٥ : ١٥). ويضيف (Pierre Goursat) "أحباء يسوع، هم الذين يحبون يسوع، ولديهم قلب يتقبل النقد والإهانة".

٣) القلب القابل للنقد

هو ليس مجرد قلب يندب نفسه، لكنه قلب يقبل أن يُجرح عندما يتعذب الآخرون. بدأت الكنيسة بقلوب مجروحة في يوم العنصرة. لتتذكر كرازو القديس بطرس التي انتهت بهذه الكلمات: "فليعلم يقيناً، بيت إسرائيل أجمع، أن يسوع هذا، الذي صلبتموه أنتم، فقد جعله الله رباً ومسيحاً. فلما سمعوا ذلك الكلام، تفترت قلوبهم" (أشعيا ٢ : ٣٦، ٣٧).

عندما كان يسوع على الصليب، لم يشفق أكثر الناس عليه. وكلام بطرس، يوم العنصرة، لم يجد نفعاً، لولا حضور الروح القدس وعمله الدؤوب. فهو الذي أنار للشعب أن يفهموا أن الخطيئة هي التي دفعتم لأن يصلبوا المسيح.

في رسالته الجامعة المذهلة عن الروح القدس، يقول البابا يوحنا بولس الثاني: "لا يمكننا أن نعي جسامة الخطيئة بوضعها الحقيقي والعميق إلا بمساعدة الروح القدس. هو وحده يستطيع أن يفهمنا قبح الخطيئة".

ونحن عندما ننظر إلى الصليب، ولدى رؤيتنا جنبه المفتوح، والجراحات التي تغطي جسمه، ندرك، كم هي العذابات التي تحملها من أجل خطيئتنا. ترى في الوقت نفسه، برهاناً عظيماً على رحمة الله، فهو الذي يفدينا بحياته. والصليب يثبت لنا، من جهة جسامة الخطيئة، ومن جهة أخرى، محبة الله الكبيرة لنا.

كيف لا تتفطر أكبادنا عندما نرى مثل هذا الشهيد؟ كيف لا تتقطع قلوبنا أسفاً أمام هذا الإله الذي أحبنا ذلك الحب الكبير؟ بهذا الحب الذي وصلت ذروته على الصليب، يأتي الرب يسوع ويقرع باب قلب كل إنسان، دون أن يطغى على حرته البتة. وبهذا فهو يحرك فينا المحبة لنكون معه، بل ولنشاركه آلامه، أليس هو ابن الآب السماوي؟ (البابا يوحنا بولس الثاني).

ويعقب البابا على هذا الكلام قائلاً: "في بشارة رحمة الله، على الصليب، أيمن أن تحترم شهامة إنسان أكثر من هذا؟ ذلك الإنسان الذي نال رحمة الله، هو في نفس الوقت نفسه الذي يرحم الآخرين". هل يستطيع الله أن يمنحنا مقاماً أسى مما يطلبه منا؟ أي أن نكون رحماء عليه. فما هي ردة فعلنا أمام قلب يسوع المجروح لأجلنا؟

قلبنا مجروح، لأننا لم نقبل محبته لنا، ونحن نرى آلامه بسبب هذا الرفض، وأحشاؤنا تنفطر أماً عندما ندرك عظم المحبة التي دفعته لأن يبذل حياته من أجلنا.

شفقنا على يسوع تحثنا على ألا نجعله يتألم من أجلنا. فمثل الشعب الذي سمع كلام بطرس يوم العنصرة، نتساءل: ماذا علينا أن نفعل؟ فأجابهم بطرس: "توبوا، وليعتمد كل منكم باسم يسوع المسيح" (أع ٢ : ٣٨) فنظرنا إلى يسوع على الصليب ستحنا وتعطينا القوة لأن نبتعد عن الخطيئة. يمكننا ذلك، ليس بقوتنا، بل بمحبتنا وشفقتنا على يسوع المتألم.

ومن هنا ستولد فينا الحمية، لنعيد كل العالم إلى يسوع. فعندما يجرح قلبنا من جراء عذابات يسوع وحبنا لنا، لا شيء يمنعنا من أن نجاهد في سبيل الآخرين، وأن نريهم محبة يسوع لهم. سنعمل هذا شفقة بهم، لأننا نعلم أنه لا راحة لهم، إلا عندما يختبرون محبة الله فيهم، ونعمله أيضاً، شفقة بالمسيح الذي لا يريد أن يخسر أحداً من أولاده.

في القرن السابع عشر، عندما وجدت هرطقة "الخوف من الله" Jansénisme، تراءى يسوع للقديسة Marguerite Marie ليربها هذه الحقيقة الأساسية، ألا وهي محبته للبشر، فأراها قلبه الملتهب من الحب. إنه جاء لكي يذكرنا بأن الله "خلت لنا قلباً من لحم، ليس فقط قلباً إلهياً، مثلما بالحب والرحمة، بل أيضاً قلباً إنسانياً، يستطيع أن ينبض حباً" (RVM § 26).

في ظهوره الأول قال يسوع لهذه القديسة: "إن قلبي مفعم بالحب للناس، ولك خاصة، حتى أنني لا أستطيع أن أتحمل أجيح هذه النار التي تحرق قلبي؛ فعلي أن ألقى فيض حي هذا على العالم بواسطتك.

هذه القديسة، هي اليوم، كل واحد منا، فعندما يقول لها إني أهيم بك، يوجه هذا الكلام لنا أيضاً، ويطلب منا، كما طلب منها، أن ننشر حب يسوع الملتهب في العالم.

عندما زار البابا يوحنا بولس الثاني مكان هذا الظهور في فرنسا، طلب من الأسقف أن يجدد العبادة لقلب يسوع الأقدس؛ لأن مقدرة الإنسان على الحب ناتجة عن قلب يسوع المحب لنا.

ففي وقت السجود نختبر محبة الله لنا. إن قلب يسوع ينبض حباً في هذه البرشانة. يتكلم يسوع عن قلبه أو حبه لنا في سر محبته. فكان يتراءى لهذه الراهبة وهي تسجد للقربان. قال لها يوماً: "هو ذا القلب الذي أحب

العالم، والذي تألم واحترق؛ ليثبت لهم محبته، لم يلق من أكثر الناس إلا نكراناً بالجميل ... إهمالهم وعدم احترامهم نحوي في سر المحبة": أي سر الإفخارستيا.

وفي ظهور آخر قال لها: إني عطشان. العطش يحرقني، وهذا العطش هو "حب الناس لي" في سر القربان الأقدس". ويضيف "ولا أجد أحداً يجاهد - حسب مرضاتي، ليروي عطشي ويبادلني هذا الحب".

هذه هي الكلمات الأساسية لهذه الظهورات.

يسوع يؤكد حبه الغامر لنا:

"يعشق قلبي جميع الأشخاص.

إني لا أستطيع أن أتحمل النار التي تحرق قلبي".

"أريد أن أنشر هذا اللهب بواسطة".

إني عطش إلى محبة الناس لي في القربان الأقدس".

لكن يسوع يتذمر أيضاً ويقول:

"إني لا أجد أحداً يجاهد، ليروي عطشي ويبادلني المحبة". صرخة العطش هذه، سمعناها على الجلجلة:

"إني عطشان" (يوحنا ١٩: ٢٨).

هذه الصرخة كتبها الأم تريزا على جدران بيوتها، وذكرتنا بها في وصيتها الأخيرة: يا بناتي العزيزات، يريد يسوع أن يقول لكّن كم هو محب لكل واحدة منكن،

فهو يحببكن أكثر مما تتصورن، هو يهيم بكن، إنه يفتقدكن عندما لا تتقدمن إليه، إنه عطش إليكن".

هذه أيضاً صرخة القديس فرنسيس الذي كان يطوف شوارع المدينة وهو يبكي ويقول: "إن الحب ليس محبوباً". مع أن هذه هي الوصية الأولى التي ذكرنا بها يسوع: "أحبب الرب إلهك من كل قلبك و كل نفسك و كل ذهنك و كل قوتك" (مرقس: ١٢: ٢٩). بهذه الوصية يتوسل إلينا الرب بأن نحبه .

فهت "تريزا الصغيرة" هذا الحب مليا ، فهي تقول لنا : "لم يخف يسوع أن يتوسل إلي السامرية لتعطيه أن يشرب. كان عطشاناً ... لكنه عندما قال لها: "أعطني لأشرب" كان عطشه إلى خلاص هذه المرأة المسكينة . كان عطشا إلى حيا ... إني أشعر اليوم أكثر من ذي قبل ، بأن يسوع عطشان ؛ لأنه لم يلق عرفانا بالجميل من أحد ، بل كثيرا من الإهمال نحوه ... ولم يجد غير قلوب قليلة مفتوحة كلياً نحوه وقادرة على أن تفهم عطفه ومحبته الفائقة" (رسالة إلى إحدى الراهبات) .

٤) ساعات السجود

في ظهور آخر لیسوع قال "لمرغريت" : إن آلامي في الجسمانية كانت أكثر من كل آلامي ، لأنني وجدت نفسي متروكاً من السماء و من الأرض ، وحاملاً خطايا كل العالم ... لا يوجد أحد آخر ، يستطيع أن يشعر ويفهم

العذاب الذي تحملته آنذاك ". و أضاف أن أكثر ما يؤلمه هو عدم اكتراث الناس و ازدراؤهم له ، تجاه ما فعله من أجلهم .

و كتبت القديسة "فوستينا" أن الأشخاص الذين أغلقوا الباطن على ذواتهم . ولا يريدون أن يتعرفوا على رحمة الله ، هم الذين آلموه أما مميته في بستان الزيتون".

ففي هذا البستان ، رأى يسوع كل العذابات التي سوف يتحملها، وفي الويقت نفسه، رأى كل هؤلاء الأشخاص الذين لن يستفيدوا من هذه الآلام في العالم أجمع؛ لأنهم ردلوا محبته. أسس الإفخارستيا، ورأى قلة الاهتمام، حتى السخرية لهذا السر، الذي هو قمة المحبة للإنسان.

لذلك طلب يسوع من الراهبة "مرغريت" أن تأتي وتناجيه في الصلاة مدة ساعة واحدة، كل يوم خميس، لتشاركه آلامه وتعوض عن كل هذا الفتور، الناجم عن عدم اكتراث الناس به، وتُعزّية .. وهذا كان سبب تأسيس ساعة السجود. "هذه الساعة التي خسرها بطرس ويعقوب ويوحنا في بستان الزيتون. تسعى الكتيبة لأن تعوض عنها، وعن الإهمال وعزلة يسوع". يقول البابا يوحنا بولس الثاني: "نحن كلنا مدعوون لنأتي ونواسي يسوع في بستان الزيتون، لنعزيه، ونثبت له أننا نريد أن نكفّر بحبنا، عن إهمال الناس له".

٥) نعزي يسوع في السجود

كيف يمكننا أن نعزي يسوع في السجود؟

أولاً بحضورنا، في بعض الأيام، أو أثناء بعض الصلوات حين نشعر بحرارة محبتنا ليسوع، فنكون فرحين. لكننا نعلم كم من المرات لا نشعر بشيء تجاهه.

فنكون فاترين ولا نستطيع أن نصلي. بل يصحبنا الضجر، ونرغب في أن نترك المكان. أو أننا نستسلم للنعاس، مثل بطرس ويعقوب ويوحنا. وإن طالت مدة هذا الفتور، لأسابيع أو أشهر أو أكثر، فإننا نشعر باليأس ونرغب في أن نترك الصلاة. لكن يسوع يرجونا أن نستمر. يريد أن نشاق إليه، ونبحث عنه من أجله فقط.

يقول لنا يسوع "تعالوا إليّ، اسهروا معي، إني بحاجة إليكم، إني عطش لمحبتكم".

فإذا أردتم أن نعزي يسوع، فكلما التعتزية لا تكفي. يريدنا دائماً بقربه، حتى عندما لا نشعر بشيء. ففي هذه الأوقات الصعبة، يريد حضورنا أمامه في الكتيبة أو في أي مكان آخر، خاصة في البيت أمام هيكله، عندما نحس أن ألف عمل ينتظرنا؛ فهذه – في الحقيقة – صلاة.

أوضحت لنا القديسة تريزا الآفلية أن حضورنا أمام القربان يشبه التماثيل الموجودة في الكتيبة. إنها لا تفعل شيئاً، لكن وجودها يمجّد الله. وكانت، هذه القديسة، تشجع التأمل في آلام المسيح، الذي يؤجج المحبة في قلوبنا.

نعزي يسوع أيضاً بثقتنا به وبرحمته، عندما نطلب حمايته، مثلما قال الآب "للقديسة كاترينا السيانية": "يجب أن تحتمي بيسوع المصلوب، ابني الوحيد. عليك أن تختبئ في جرح قلبه الطاهر. امكثي هناك فتدوق شعائر حبه كإنسان وإله. في هذا القلب المفتوح بالحربة ستجدين حبه لي وللعالم أجمع".

لكي نعزي يسوع، علينا أن نكرر، مراراً وتكراراً: "يا يسوع، إني أومن بذبيحتك من أجلي ومن أجل جميع الناس على الأرض. إني أشكرك على كل ما فعلته لي، أطلب السماح لكل مرة رفضت أن أحبك أنت أو أي شخص قريب. يا يسوع، إني واثق بك وانتظر منك كل شيء". ونردد له مع القديسة مرغريت ماري Marguerite Marie: "يا قلب الحب، إني أضع كل ثقتي بك، إني أخاف من ضعفي، لكني أرجو كل شيء من طيبتك". ونعزيه أيضاً عندما نقدم له العالم بأسره، هذا العالم الذي يريد يسوع أن يضره بنار الحب المتأجج في قلبه. فلنتوسل إلى الله ليرأف بكل هؤلاء الناس الذين نقدمهم له: فلنبداً بأقاربنا، وعائلاتنا، وجيراننا، والذين نتعامل معهم، وكذلك ضحايا الكوارث والحروب، والذين لم يسمعوا قط عنه، والذين يرفضون محبته.

يقول Pierre Goursat: "السجود نبع العزاء، الذي هو أساس التبشير" ويضيف: "إن كان يسوع معنا، فهو أيضاً فينا ونحن فيه. وكل آلام العالم، وكل الأشخاص الذين يتألمون، والذين يفقدون الأمل، ويعانون من عذابات مبرحة، موجودون فيه وهو معهم. لذا عندما نسجد للرب نعزي كل هؤلاء الذين يتألمون: أعني عذابات يسوع وآلام العالم أجمع، خاصة هذه الآلام التي لا تقدم له ... وفي تعزية السجود: علينا أن نقول ليسوع، إننا نصلي لمن لا يصلون ولمن لا يعرفون أن يصلوا".

لا شيء يجدد المحبة في قلبنا، مثل الصلاة للآخرين؛ لأنها تحثنا على العمل من أجلهم. يقول لنا يوحنا في رسالته: "لا تكن محبتنا بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق" (يوحنا ١ : ٣ - ١٨)، وهذا سيكون موضوع لقائنا القادم.

كان القديس Jean Marie Vianney يقول: "ماذا يفعل يسوع في بيت القريان؟ هو ينتظرنا. هو موجود هنا بقلبه الطيب وينتظرنا لكي نذهب إليه ونبوح له بما نريد، وسنحصل عليه". والقديسة "فوستينا" تقول: "قلب يسوع يشبه بوابة كبيرة مفتوحة على مصراعها لتدخلنا السماء".

سننهي بكلمات البابا يوحنا بولس الثاني عندما أغلق الباب المقدس في آخر سنة اليوبيل في الفاتيكان، قال: "مثلما نغلق اليوم الباب المقدس، وهو رمز للسيد المسيح، نحن على يقين بأن قلب المسيح يبقى مفتوحاً، دائماً أبداً. وهو لا ينفك يردد للعالم أجمع، خاصة لمن ينقصه الرجاء والفهم: "تعالوا إليّ جميعاً أيها المرهقون والمثقلون، وأنا أريحكم" (متى ١١ : ٢٨).

اللقاء الثاني عشر

الإفخارستيا والإرسال

مقدمة

سنركز في هذا اللقاء على موضوع: "اذهبوا وتلمذوا" كما ذكره البابا يوحنا بولس الثاني في رسالته "ابق معنا يا رب". وهذا ما يعنيه أيضاً الإرسال الذي يشير إليه الكاهن في نهاية القداس: التبشير بالأسرار، وبالإنجيل في المجتمع"

(MND § 24).

لا توجد وصية أعظم من هذه الوصية مع بداية الألفية الثالثة، وهي أن نبشر في الإنجيل ونجدد نشاط المجتمع المسيحي.

في هذا اللقاء نعيش هذا الإرسال الذي هو نفس إرسال يسوع للرسول: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى ٢٨ : ١٩).

١) نكون مؤهلين بمحبة يسوع

تأملنا في لقائنا السابق كلمات يسوع للقديسة مرغريت ماري Marguerite Marie "إن قلبي مفعم بالحب للبشرية ولك خاصة ... ولا يستطيع قلبي أن يتحمل لهيب نار هذه المحبة، فعليه أن يشارك العالم في هذه المحبة بواسطتك". فالذي يتمناه يسوع هو أن تمتلئ من هذا الحب وأن يشارك العالم فيه بعد أن نستقبل محبة يسوع.

ربما شعر بعضنا بعاطفة قوية أثناء الصلاة، وآخرون ما زالوا ينتظرونها.

إن هذا الشعور لا يعتمد علينا بل على الإدارة الإلهية؛ فهو عطاء محض يمنحه الله في الوقت الذي يشاؤه هو وحده. هذا ما قبل في كتاب "نشيد الأناشيد": "أستحلفكن يا بنات أورشليم أن لا توقظن ولا تنهين الحب حتى يشاء" (نش ٢ : ٧). فالله وحده هو الذي يعرف الوقت المناسب لعواطفنا ومشاعرنا تجاهه.

علينا أن نثابر بكل توكل على الله في الصلاة، حتى لو لم نشعر بأي إحساس عاطفي. ويماً ما سنشعر بأننا محبوبون عاطفياً. وإلى أن يأتي هذا اليوم فلنتبع نصيحة القديسة تريزا الصغيرة: "لا تخافوا من أن تقولوا ليسوع أنكم تحبون، حتى لو ام تشعروا بشيء عاطفي. بهذه الطريقة، أنتم ترغمون يسوع على أن يحملكم كما يُحمل الطفل. لكن ما اختبرتموه بشكل أكيد هو تلك الأوقات القصيرة جداً التي أحسستم فيها بتأثير يسوع فيكم من خلال كلامه سواء كان بفكرة، أو ترنيمة، أو ابتسامة شخص ... ففي هذه اللحظات نشعر بأن يسوع حي ويحبنا. لذا علينا أن نتشجع ونقول له: "يا يسوع، إني أومن بمحبتك لي، حتى لو أنني لم أحس بهذا الحب. علمني أن أحبك كل يوم أكثر فأكثر".

في رسالته "ابق معنا يا رب" يقول لنا البابا يوحنا بولس الثاني: "إن وجود يسوع في بيت القربان يأسر إليه القلوب المليئة بالمحبة، تلك المحبة التي تريد أن تبقى بقربه لتسمع خفقات قلبه" (MND § 18). من الممكن أن يسوع الموجود في بيت القربان، لم يستملنا حتى الآن بطريقة عاطفية، ولم نستمع إلى خفقات قلبه، لكننا على يقين بأننا من بين هؤلاء الأشخاص الذين امتلأت قلوبهم بمحبة يسوع.

فمن خلال إيماننا ومثابرتنا على الحضور أمامه بثقة وورع، وبصلاتنا أمام القربان أو في البيت، نؤكد له محبتنا. "يا بني، لا تكن محبتنا بالكلام أو باللسان بل بالعمل والحق" (يوحنا ١: ٣ - ١٨).

٢) نحن شركاء في نشر محبة يسوع للبشر

اليوم يطلب منا يسوع أن نتقدم في محبتنا له خطوة إضافية. لتذكر عطشه إلى محبة البشر له، وأن هذا العطس يؤلمه، لكنه لا يجد من يبادل هذه المحبة.

كان كردينال كولون (Joachim Meissner) يقول لأساقفته: "في الإفخارستيا نحن نسجد ونرى، ليس فقط مسيحاً يريد أن يبقى معنا، بل أيضاً أن يصطحبنا معه إلى الآب". لهذا السبب، يحتاج يسوع إلى كل واحد منا. فهو يطلب من كل واحد منا، أن يعيد إليه كل الأشخاص الذين يريد أن يصطحبهم معه إلى الآب.

ليس حضورنا هذه اللقاءات على سبيل الصدفة. إنه يسوع نفسه، الذي اختارنا لتكون أداة لجذب القلوب نحو محبته. اختار يسوع رسالاً في كل الأوقات ليثبتوا محبته للبشر، كما حصل مع تلميذي عمواس. يقول لنا يوحنا بولس الثاني: "ثمرة العيش مع المسيح هي العبادة الإفخارستية. وهذه تحمل المؤمن كما تحمل الكنيسة على واجب الشهادة والتبشير" (MND § 24).

قد نظن أنه لا حاجة لهذا التسرع في البشارة؛ فالله لا يهتم بمن حولنا. كلا، من المؤكد أن الله يهتم بهؤلاء الأشخاص، فهم يشعرون بالعطش نحوه من غير أن يعرفوا ما هو عطشهم. كان البابا يوحنا بولس الثاني يقول: إن الإنسان

هو "من يبحث عن الله". إن مشاركة ملايين الشباب في لقاءات الشبيبة العالمية مع البابا لهو دليل قاطع على أن الإنسانية تبحث عن الله. فالله قريب جداً من الإنسان الذي لا يدرك هذا، لكنه يشعر بشيء ينقصه: نقرأ في عيد قلب يسوع الأقدس من رسالة القديس يوحنا الأولى قوله: "أيها الأحباء، فليحب بعضنا بعضاً؛ لأن المحبة من الله، وكل محب مولود وعارف بالله" (يوحنا ١: ٧).

"وكل محب يعرف الله".

في فيلم سينمائي حديث اسمه Love actually، وفي أول مشهد منه، نرى ساحة وصول المسافرين في المطار والأشخاص الذين يستقبلون أحبائهم ويقبلونهم ويضمونهم إلى صدورهم، ونستمع إلى صوت من الخارج يقول: "عندما أشعر بالإحباط، من جراء الحالة السياسية العالمية، أذهب إلى قاعة وصول المسافرين في لندن".

يقال: إن العالم مليء بالحق والأناية، لكن هذا ليس صحيحاً؛ فنحن نرى أنفسنا محاطين بالحب. وفي أكثر الأوقات نجد أن هذا الحب ليس مجرد تمثيلية بل هو دائماً موجود: حب الآباء لأولادهم وبناتهم، حب

العاشقين والعاشقات، حب الأصحاب القدامى ... عندما هاجمت الطائرات ناطحات السحاب في نيويورك، لم يسوع أحد أي كلمة انتقام، بل على العكس كانت الكلمات تنم عن صبر وإيمان بالله.

ونحن إذا انتبهنا، سنجد رسائل المحبة تملأ العالم. "الصوت في هذا العالم لم يتكلم عن الله، لكن بطريقة ما، هو يتكلم عنه لأنه يتكلم عن المحبة. نحن نعلم أن الله محبة، بل أسى صور الحب. وكل فعل محبة صادقة يعكس شيئاً من سر محبة الله لنا؛ لأنه هو محبة. فإذا أردنا أن نتكلم عن الله لأبناء هذا الجيل، علينا أ، نبدأ بالمحبة الإنسانية التي يعرفونها حق المعرفة، وهكذا يمكننا أن نستميلهم، بواسطة هذا الحب الإنساني.

نحن لا نتكلم عن الحب الذي يهدف إلى السيطرة على الآخر لمصالح شخصية. لكننا نتحدث عن الحب الذي فيه يضحى الشخص بنفسه ليفرح الآخر، وهذا الحب يضرب جذوره بالله الذي خلقنا محبة فينا، وجعلنا قادرين على أن نحب بعضنا بعضاً. فعندما محب إنساناً "بالعمل و الحق" نكشف له وجهاً من أوجه محبة الله. وكل واحد منا مدعو لأن يكون وجهاً مميزاً لا مثل له من أوجه محبة الله لنا.

هذا النداء العاجل للشهادة والإنجيل فسره لنا Jean Luc Moens أحد أعضاء جماعة العمانوئيل " في كتاب اسمه Evangeliser c'est aimer (نشر الإنجيل هو المحبة) قال فيه: إننا لا نستطيع أن ننشر الإنجيل إلا بالمحبة، وهذه لا تأتي إلا بطرق ثلاث: العمل والكلام والصلاة. هذا ما طلبه يسوع من القديسة فاوستينا أ، تعيش رحمة الله دائماً وفي كل مكان". بطرق ثلاث: العمل والكلام والصلاة. هكذا تؤكدين محبتك لي" (١٩٣٦).

٣) نشر الإنجيل بواسطة المحبة اليومية "بالعمل والحق"

سنتبّع الطريقة التي شرعها يسوع، ونبدأ المحبة بالعمل. كان القديس بولس يشجع أهل روما على أن "ينتصروا على الشر بالخير" (Rom 12 : 21). بيّن البابا بندكتس السادس عشر للشباب الذين تواجدوا في (كولون) أن الانتصار على الشر بالخير يستمد جذوره من الإفخارستيا. "عندما جعل من الخبز جسده ومن الخمر دمه، كان عالماً مسبقاً بموته، وقد حول هذا الموت وبكل قوته، إلى فعل محبة للبشر. "جعل يسوع حبه ينتصر على الكراهية، وهذا الانتصار الشبيه بالانقسام النووي الذي يحدث انقسامات متكررة وبالتدرج، سيغير العالم.

بإمكاننا الدخول في ديناميكية العمل الذي بدأه السيد المسيح وأنجز أساسه" وهي عملية الانقسام النووي المذكورة من خلال الخطوات الآتية:

- ثم يحول الخبز إلى جسده.
- نتحد بهذا الجسد في المناولة.
- تحولنا هذه المناولة؛ إلى جسده، وتدخلنا في عداد أقاربه وعائلته الروحية.
- وبهذا نصبح كلنا أخوة في ما بيننا.

ويضيف قداسة البابا: في ساعة السجود يكون "الله موجوداً أمامنا"، لكن عندما نتناول "يكون في داخلنا ونحن في داخله، وحيويته تدخل فينا ومن خلالنا ستنتشر على الآخرين الذين هم من حولنا، وعلى العالم أجمع كي تصبح محبته حقيقية. هذا هو الكيل الذي يسيطر على العالم".

الحقيقة هي: أن المحبة انتصرت على الموت، وفي كل مرة نتناول فيها جسد المسيح، تتكرر هذه الديناميكية فينا. وهذا يشبه حجارة "الدومينو" التي ننصبها الواحدة تلو الأخرى، فإذا سقطت إحداها فإنها تتسبب في سقوط بين ذراعي الأب، مع يسوع، فإنه سيُسقط آخرين معه. هذا ما فعله القديسون، ونحن كلنا مدعوون لأن نكون قديسين.

والآن علينا أن نوصل ديناميكية المحبة بالعمل والحقيقة. لا يطلب منا أن نعمل أشياء فائقة الطبيعة، لكننا نستطيع أن نقوم بأعمال محبة بسيطة حتى لو لم ينتبه إليها من هم حولنا. قال يوحنا بولس الثاني: "الإفخارستيا، هي نمط حياة تمر من المسيح إلى المؤمن وتنتشر من خلال شهادة المؤمن إلى المجتمع وإلى الثقافة نفسها" (MND § 25).

هذه الديناميكية الإلهية ونمط الحياة المسيحية هي مثل اختبار الطفل لمن حوله ليعرف إن كانوا يحبونه أم لا، أو هل سيسامحونه إن أخطأ؟ وهل ستكون المحبة هي الكلمة الأخيرة؟ في كل قداس إلهي يثبت لنا يسوع أنه يحبنا بعطائه الكامل لنا، كما نحن.

هذا العطاء لا يعني أنني أشعر حسياً به بإيماني. إن ثقتنا بمحبة يسوع هي التي تعطينا الديناميكية اللازمة لنمنح أنفسنا للآخرين. فإذا كنا نشرب باستمرار من نبع المحبة، فإن محبتنا لن تموت. في كل مرة نتناول جسد المسيح، نجدد محبتنا من هذا النبع، ونستطيع أن نشارك الآخرين في هذه المحبة.

هذا ما كان يفعله Pier Giorgio Frassati الذي طوبه البابا حديثاً. كان يذهب ليزور الفقراء بعد القداس مباشرة، وكان يقول إنه يردّ المحبة التي أعطيت له من خلال الإفخارستيا. كل إفخارستيا تجعلنا جسداً واحداً مع المسيح وتدخلنا معه شركة القديسين، وتجعلنا واحداً مع الخليقة جمعاء. قال قداسة البابا بندكتس السادس عشر للشباب: "إن فِكرنا وعِشنا متحدان مع المسيح، ستنتفتح أعيننا.

لذا لا تقتصر حياتنا على العيش من خلال تفكيرنا بأنفسنا فقط، بل سنبحث ونرى أين يمكن أن تكون خدماتنا ضرورية. وبهذه الطريقة سنرى، وبوجه السرعة، جمال حياة العطاء، التي تفوق بكثير حياة الأناية والحياة السهلة التي لا تعباً بحاجات الآخرين.

وضع البابا يوحنا بولس الثاني كتاباً بعنوان: "ادخلوا إلى الأمل" (Entrez dans l'Espérance) قال فيه: "إن الشباب يشعرون بأن حياتهم لا هدف لها إن لم تهب من نفسها للآخرين. كل الدعوات تجد جذورها في هذا الاكتشاف، سواء أكانت دعوة إلى الكهنوت أم الرهبنة أم الزواج" (ص ١٩١).

العطاء لا يمنح فقط معنى لحياتنا، بل يجمعنا سعداء في حياتنا أيضاً. مرت بهذا الاختيار القديسة تريزا الطفل يسوع عندما كانت طفلة. في ليلة عيد الميلاد سيطرت على غضبها لتوقع السرور في نفس والدها، فكتبت في سيرتها الشخصية قائلة: "شعرت أن المحبة دخلت في قلبي. علمني أن أنسى نفسي لأفرح الآخرين، ومنذ ذلك الوقت شعرت بالسرور".

لا ننسى أنفسنا لنجعل الآخرين يشعرون بالفرح، هذا هو سر الفرحة. إننا لا نستطيع أن ننسى أنفسنا إذا ما رويناها من نبع المحبة في الإفخارستيا؛ ففيها يقدم يسوع نفسه لنا كلياً، ويدعونا لأن نعمل كذلك؛ لأنه يعرف أنه لا يمكننا الحصول على الفرحة الحقيقي إلا إذا بذلنا ذاتنا للآخرين. انظروا مثلاً إلى فرحة المتطوعين في لقاء الشباب، فرحة راهبات الأم تريزا. انظروا إلى أنفسكم، وإلى الفرحة الذي يملأ قلوبكم، عندما تقومون بخدمة أحد الأشخاص. إنكم تعملون على إضفاء الفرحة والسرور على قلبه.

إن المحبة شيء ملموس. لفت قداسة البابا أنظار الشباب إلى الاهتمام بالأشخاص الكبار بالسن خاصة الذين يعيشون وحدهم. محبة القريب تبدأ بمعرفة كيانه، ثم معرفة حالته وظروفه، ثم مساعدته، خاصة عند الاستماع له والقيام بزيارته.

المحبة هي مساعدة طفل يقوم بواجباته المدرسية، أو اللعب معه بدلاً من أن نقرأ مجلة ممتعة. أن نستمع إلى قصة جدتنا للمرة العشرين، دون أن نقول لها إننا نعرفها. أن نضحي من وقتنا ومن مالنا لمساعدة الأقل منا حظاً. أن نحترم الذين يعملون معنا وأن نكون صريحين معهم، ولا نتكلم عن الآخرين بالسوء.

كانت القديسة فاوستينا (Faustina) التي فهمت أنه من خلال المحبة للبشر تتبادل الحب مع يسوع الذي أحبنا حباً جماً – تردد هذه الصلاة:

" يا سيدي يسوع حولني كلياً إلى رحمتك،

اجعل عيني رحيمتين لكي لا أحكم أبداً بحسب المظهر،

ولا أشك في أحد، واجعلني أرى كل ما في النفوس جميلاً،

وأكون مساعدة للجميع.

اجعل أذني رحيمتين لتكونا دائماً مصغيتين إلى حاجة إخوتي

ولا تغفلان طلباً لهم.

اجعل لساني رحيماً، كي لا أتفوه بالسوء على أي إنسان،

واجعل كلماتي مسامحة ومعزية للجميع.

اجعل يدي رحيمتين ومليئتين بأعمال المحبة، حتى آخذ على عاتقي

كل ما كان صعباً ومتعباً لأخفف من عناء الناس وأخفف حملهم.

اجعل رجلي رحيمتين، ودائماً على أتم الاستعداد لأسارع لمساعدة الآخرين،

على الرغم من تعبتي وانشغالي، كل أموت وأنا أخدم.

اجعل قلبي رحيماً، ومنفتحاً على كل عذاب.

لن أغلقه أمام أي إنسان، حتى أمام الذين يستغلونني.

أما أنا فسأحبس نفسي في قلب يسوع" (١٩٣٧)

٤) التبشير بكلمة الله

قال يسوع للقديسة فاوستينا أن التبشير بالكلام طريقة ثانية لممارسة الرحمة. رأينا كيف أن القديسة "فاوستينا" كانت تطلب من يسوع أن يلهمها كلمات مسامحة وتعزية للآخرين. ونحن بكلامنا، نستطيع أن نشجع ونعزي، ونقول كلمة حلوة تبهج من يسمعها.

يقول (Gary Chapman) في كتابه "محادثات الحب الخمس": إن كان بعض الأشخاص يتمنون مساعدة أو استلام هدية، فكم هم الذين يتمنون كلمة لطيفة تبهج نهارهم! علينا ألا نتوانى أو ننسى أو ننسى أن نشكر الآخرين على خدمة

قدموها لنا حتى لو كانت بسيطة. أن نثني على عمل جميل أو متقن، أن نشجع فاتحين أبواب الأمل أمام تلميذ لم ينجح، أن نتكلم هاتفياً مع جدة تعيش وحدها...

لكن من واجبنا أيضاً أن نقدم الرحمة من خلال كلمة الله. في آخر كل قداس يطلب منا الكاهن أن ننشر كلمة الله. هذا شيء ضروري لأن الله قال:

"سأرسل الجوع على الأرض إلى استماع كلمة الرب" (عاموس ٨ : ١١). فإن لم نعط الإنسان كلمة الله سيخترع الناس ديناً خاصاً بهم.

قال قداسة البابا للشباب في مدينة كولونيا: "إن هذه الديانة الخاصة سهل اختراعها ومريحة، لكن عند المحن ستتركنا وحدنا". وكان يشجع الشباب قائلاً: "إن الذي اكتشف المسيح منكم عليه أن يعرفه للآخرين. لا يمكننا أن نبقي فرحة كبيرة لأنفسنا، علينا أن نشارك الآخرين بها، علينا أن نساعد الناس ليكتشفوا النجم الحقيقي الذي سيرينا الطريق الصحيح؛ أي يسوع المسيح. نحن أيضاً نسعى لأن نعرفه معرفة حقيقية حتى يكون باستطاعتنا أن نقود الآخرين نحوه بطريقة مقنعة. لهذا السبب بات من المهم جداً أن نحب الكتاب المقدس".

قال البابا يوحنا بولس الثاني الذي قدم لنا المثل حول كيفية التبشير بالكلمة بكل ثقة: "لا تخافوا"، وقد اقتبس هذه العبارة من كلام يسوع للرسول عندما ظهر لهم بعد قيامته من بين الأموات". وحاجتنا لسماع هذه الكلمات في آخر هذه الألفية الثانية أكبر بكثير من ذي قبل ... فعبارة (لا تخافوا) ضرورية جداً للإنسان اليوم، ذلك الإنسان الذي يشعر في داخله بخوف واضطراب".

كيف لا والبطالة تهدد العالم. كما لا يوجد مكان في منأى عن الإرهاب، بالإضافة إلى الاضطرابات المتزايدة بين الأمم المختلفة، والكوارث الطبيعية والأمراض والحروب ... أمام هذه المصائب كان يتوسل قداسة البابا ويقول: "يجب أن يكون في ضمير كل إنسان، قوة تؤكد له أنه يوجد كائن يحمل في يديه مصير هذا

العالم العابر ... خاصة أن هذا الكائن هو الحب نفسه: الحب المتجسد، الحب المصلوب والقائم، الحب الموجود معنا دائماً وأبداً هو الحب القرباني. هو الوحيد الذي نستطيع أن نصدق، دون أي تحفظ عندما يقول لنا "لا تخافوا" (Ed Ep 321,322).

لكن هذا اليقين لا يتقوى في ضمير أي كائن بشري آخر إلا إذا عاشه المسيحيون، وأثبتوا ذلك بأقوالهم وبأعمالهم. إن كانت لنا الغيرة في التبشير بكلمة الله، فستجعلنا هذه الكلمة متفهمين لكل فرصة نستطيع بها أن نبشر صراحة بكلمة الله. إن الروح القدس سيلهمنا الكلمات ويعطينا الشجاعة للتكلم بها.

فعندما تتقدم منك امرأة تشكو إليك همها وهي تحمل طفلاً على ذراعها تستطيع القول: "إني سأصلي له، لأنني صليت مراراً في حالات مشابهة" فإن قالت الأم "شكراً" وغيرت الموضوع، فلا حاجة لأن تعود إلى الموضوع. أما إذا وجهت أسئلة حول إيمانك، فلا تتوانى وصارحها بالإيمان بكل بساطة. وهذا ينطبق أيضاً على زملاء العمل، والجيران والأصدقاء. أما الروح القدس فيعطينا في بعض الأحيان، كلمات أقوى لكي نبشر بها. لا تخافوا أن تتبعوا هذه الإلهامات، سترون أنه حين يأتي الأفكار منه، تُفتح كل الأبواب على مصراعها.

دعونا نتبع نصيحة البابا للشباب في كولون "أسسوا مجموعات تركز على الإيمان. ابحثوا وأنتم مجتمعون، في مواضيع الإيمان، كزملاء يسافرون معاً".

فالإنسان وحيداً، ربما لا يجرؤ على التبشير، أما اثنان معاً، أو ثلاثة أو مجموعة أو رعية فمن السهل عليهم ذلك؛ لأنه يساعد الواحد الآخر.

ليس مطلوباً منا أن نلقي عظات أو أن نعلم في الأماكن الجماعية، وليس مطلوباً منا أيضاً أن نفحم من يتناقشون معنا. علينا أن نستمع إليهم بكل احترام،

ونطلب من يسوع والروح القدس أن يلهمنا الجملة التي نستطيع أن تعزي، وتشجع، وتوجه وتنير. قال القديس بطرس: "كونوا دائماً مستعدين لأن تردوا على من يطلب منكم دليل ما أنتم عليه من رجاء" (١ بطرس ٣: ١٥).

إن كتاب التعليم المسيحي يؤكد لنا "أن الروح القدس يحضر قلوب الناس بنعمته ليجذبهم نحو المسيح". إذن فلنركز على هذا التأكيد، على محبة يسوع، ولنجرؤ على أن نأخذ بعين الاعتبار الرجاء الذي أعطانا إياه، ولننتشجع على أن نتكلم عنه ونذكر اسمه دائماً.

٥) التبشير من خلال الصلاة

في بعض الأحيان نظن أن الصلاة شيء والعمل شيء آخر يتعارض معها؛ لأننا نعتبر الصلاة هروباً من مشكلات الحياة. في رسالة وجهها البابا يوحنا بولس الثاني إلى مطران "لييج" في فرنسا، يصف بطريقة جميلة جداً وظيفة الصلاة وأهميتها: "إن التقرب من يسوع في السكوت والتأمل، لا تبعدنا عن معاصرنا، بل على العكس تجعلنا مستمعين ومنفتحين على أفراح وأتراح الناس، وتوسع قلوبنا على مساحة العالم، خاصة أنها تذكرنا بالفقراء والمساكين الذين هم أحبباء المسيح، وتجعلنا نشعر معهم كإخوة لنا".

في التأمل، يشارك المسيحي بطريقة سرية، في تغيير العالم جذرياً وفي نشر الإنجيل. كل إنسان يصلي إلى المخلص يجر وراءه العالم بأسره ويرفعه إلى الله (Osservatore Romano 18/6/96).

كلما كنا قريبين من يسوع بالصلاة، أعارنا نظرته المحبة للعالم وعزمه على جذب كل إنسان إليه لكي يغمره بحبه. هذا ما عاشته القديسة تريزا الصغيرة. كانت تحب يسوع إلى حد أنها كانت ترغب في أن تجوب العالم أجمع لتبشير بمحبة يسوع للبشر.

هذه الرغبة كانت "تعذبها" كما كانت تقول. لكنها فهمت يوماً ما وهي تقرأ الرسالة الأولى إلى أهل كورنثس الفصلين ١٢ و ١٣، أن الكنيسة أمة سأكون الحب ... وهكذا سأكون كل شيء، وحلمي سيتحقق".

وعقب الكردنال Daneels على هذه الجملة قائلاً: " إن المحبة كانت دائماً ذروة عمل المبشرين لأنهم لا يبشرون بالإنجيل إلا من القلب إلى القلب".

وأضاف: إن الإنجيل لا يبشر بالكلام فقط بل "بالطرق الخفية وغير المنظورة الصادرة عن شركة القديسين"، وهذه الشبكة أسرع بكثير من المواصلات الشفهية (Lisieux 1987). وقد قال يسوع لـ (Gabriella Bossi): "عندما لا تستطيعين أن تدخلتي عند مريض أو تصلي إلى قلب ما، صلي، وصلاتك تستطيع أن تدخل" (من كتاب "lui et moi").

نحن نعيش هذا في وقت السجود؛ لأننا نتحد بيسوع في الإفخارستيا ونقدم له العالم، ومعه نستطيع أن ندخل في كل مكان: عند أقربائنا، عند الذين نصادفهم في الطريق أو نعمل معهم، عند الذين يسكنون في أمكنة بعيدة ونرى رؤسهم على شاشة التلفاز، عندما نكون غير قادرين على الخروج من البيت، أو عندما نكون مرضى في الفراش أو عجزة، أو عندما نضطر إلى البقاء مع أولادنا الصغار.

إن الصلاة تعطينا إمكانية لأن نتصل بكل هؤلاء الأشخاص، وبذا "نشارك في التغيير الجذري للعالم ونشر الإنجيل ونموه. في كل مرة نصلي للمخلص، نجر العالم كله وراء يسوع ونرفعه نحو الله". علينا أن نجرؤ ونؤمن بهذه الحقيقة.

٦) نصائح عملية في السجود للقربان

عندما نسجد ليسوع، نضع أنفسنا في حضرته، كالعادة، نحبيه بكلمات بسيطة، ثم نقص عليه ما جرى لنا في نهارنا من أفراح ومشكلات. بعد ذلك نلجأ إلى الصمت، ناظرين إلى يسوع وهو ينظر إلينا. نستطيع أن نسأله: "يا يسوع هل أنا أو من حقيقة أن كل شيء بين يديك؟ في أي وقت اختبرت مساعدتك، وحضورك أو نصيحتك؟ يا يسوع، هل أرغب في أن أشارك الآخرين ما عشته معك؟

لنتذكر موضوع لقائنا الأخير. إن يسوع يتألم، عندما يرى الناس يرفضون حبه وحب أبيه، وهذا الرفض يطعن قلبه. ولنتذكر كم هي رغبة يسوع في أن يرجعنا إلى حضن الأب!

كان القديس فرنسيس بيكي وهو يقول: "أن الحب ليس محبوباً". وكان القديس دومنيك ينوح متسائلاً: "ما مصير الخطاة؟ ونحن نتساءل: ماذا سيحدث لهؤلاء الأشخاص الذين لا يعرفون الله ويخترعون آلهة خاصة بهم؟

في وقت السجود للقربان نطلب من الثالوث الأقدس أن يجعل فينا هذه المحبة الثنائية مثل القديس فرنسيس والقديس دومينيك، ألا وهي محبة الله ومحبة القريب؛ فالله وحده يستطيع أن يعطينا إياها. فلنقدم له الأشخاص الذين يحيطون بنا، رعيتنا والعالم بأسره. ولنطلب منه أن يزورهم ويبيء قلوبهم. ولنطلب أيضاً من يسوع أن يجعلنا ننتبه إلى كل الفرص التي نستطيع بها أن نذكر اسمه ونقدم كلمات رجاء ومحبة.

يمكننا أن نتكل على وعد يسوع لنا "إني معكم كل يوم حتى منتهى العالم" (متى ٢٨ : ٢٠). يقول البابا يوحنا بولس الثاني "في آخر كل قداس على الجميع أن يعوا أنهم "رسل القربان" لينشروا في محيطهم النعمة العظيمة التي حظوا بها.

في كل قداس إلهي يرسلنا يسوع لنبشر كل إنسان بأن: "يسوع معك في الإفخارستيا كل يوم حتى منتهى الدهر".

لقد ابتدأنا هذه اللقاءات مع البابا يوحنا بولس الثاني ونحن نختمها اليوم بقول قداسة البابا بندكتس السادس عشر لشباب العالم: "إلى الأمام مع المسيح، ولنعيش حياتنا ساجدين وعابدين لله حقاً! آمين".